مائة سؤال عن الإسلام

للشيخ/ محمد الغزالي

دراسة وتقديم

أ.د. محمد عمارة

الجزء الأول



مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م



بطاقة حياة

الشيخ محمد الغزالي

(١٣٣٥ - ١٤١٦هـ - ١٩١٧ - ١٩٩٦م)

« .. لـو كنت (ملكًا) لأبيتُ إلا الانتظام في سـلك الأُخوَّة المطلقـة مـع الجماهيـر الدنيـا، أخدمهـم ويخدمونـني على السواء!.. »

(الشيخ: محمد الغزالي)

● هو (الفقيه - الداعية - المجدد) الشـيخ محمد الغزالي السـقا، مصـري المولد، والنشـأة، ولد -لأسـرة ريفيـة فقيرة ومتدينـة- في قرية (نـكلا العنب)، مركز (إيتـاي البارود)، محافظـة (البحيـرة) بدلتا مصر يوم السـبت ٥ من ذي الحجة سـنة ١٣٣٥ هـ، ٢٢ من سـبتمبر سـنة ١٩١٧م. ولقد اختار له والده اسـم: محمد الغزالي، تيمنًا بحجة الإِسـلام أبي حامد الغزالـي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ - ١٠٥٨ - ١١١١م)، لنزعـة صوفية لدى الوالد.

● وكان الشـيخ الغزالـي أكبر إخوته -السـبعة- ولقد نشـأ وأسرته الفقيرة تعلق عليه الآمال.

ولقد أتـم حفظ القرآن الكريم وهو في العاشـرة من عمره، والتحـق -طالبًـا للعلـم الإِسـلامي- بالمعهـد الدينـي التابـع للأزهر الشـريف، بمدينة الإِسـكندرية، فحصل على الشـهادة





(الابتدائيـة) سـنة (١٩٣٢م)، ومـن نفس المعهد -القسـم الثانوي- حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية سنة (١٩٣٧م).

● وفـي سـنة (١٩٣٧م) التحـق بالتعليم العالـي الأزهري -كلية (أصول الدين)- بالقاهرة، وفيها تلقى العلم على كوكبة من كبار العلماء، منهم: الشـيخ عبدالعظيـم الزرقاني، والإمام الأكبر الشـيخ محمود شـلتوت، وتخرج من (أصول الدين)، فنـال شـهادة (العالمية) سـنة (١٩٤١م)، كمـا حصل - من نفس الكلية - على إجازة الدعوة والإرشاد سنة (١٩٤٣م).

● ولقد تزوج الشيخ الغزالي وهو لا يزال طالبًا بكلية أصول الديـن، وأنجب من الأولاد تسـعة، يحيا منهـم ولدان -ضياء، وعلاء -وخمس سيدات.

● كما بدأت ممارسـته للدعوة الإسـلامية أثنـاء طلبه العلم بكليـة أصول الديـن، عندما عمل إمامًا وخطيبًا بأحد مسـاجد القاهرة، فلما نال شـهادة العالمية سنة (١٩٤١م)، عين -في العام التالي سـنة (١٩٤٢م)- بوزارة الأوقـاف: إمامًا وخطيبًا بمسـجد (العتبـة الخضراء) بوسـط القاهرة، ولقـد تدرج في مناصـب الدعوة والوعظ والإرشـاد بوزارة الأوقـاف المصرية، فتولى التفتيش بالمساجد، والوعظ بالأزهر الشريف، ووكيلًا، فمديرًا للمسـاجد، فمديرًا للتدريب، فمديرًا للدعوة والإرشاد فـي ٢ يوليـو سـنة ١٩٧١م، فوكيلًا لـوزارة الأوقاف لشـئون الدعوة الإسلامية، في ٨ مارس سنة ١٩٨١م.

● وكان تعرُّف الشيخ الغزالي على الواقع العربي والإسلامي





- خارج مصر - قد بدأ مبكرًا، ففي سنة (١٩٥٢ - ١٩٥٣م) شغل وظيفة رئيس (التكية المصرية) بمكة المكرمة، وفي الأعوام من سنة (١٩٦٨م) إلى (١٩٧٣م) أمضى شهر رمضان في دولة الكويت وقطر والسودان والمغرب، وشارك في ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر بانتظام - سنويًّا - منذ (١٩٨٠م)، وعمل في قطر - أستاذًا زائرًا - ما بين سنة (١٩٨٢م) وسنة (١٩٨٥م)، وعاش بالجزائر ما بين سنة (١٩٨٥م) وسنة (١٩٨٨م) منشئًا وراعيًا لجامعتها الإسلامية - جامعة الأمير عبد القادر، ومشرفًا على مجلسها العلمي - وعلى امتداد هذه الأعوام الخمسة عشر (١٩٧٤ - ١٩٨٨م) عاش واقع الأمة، واستوعب مشكلاتها، وأعطى لجماهيرها، وغدا أبرز فقهاء الدعوة والتجديد والأصالة والاستنارة على امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام.

● ولقد امتلك الشيخ الغزالي حرية المفكر، واستقلالية المجدد منذ بداية عقد الخمسينيات، عندما استقل عن العمل السياسي، فكان تفرغه للدعوة والتأليف، وظل محافظًا على استقلالية الفكر طوال سنوات عمره الأخيرة.

● وإذا كان الشيخ الغزالي هو أحد أعلام علماء مدرسة الإحياء والتجديد مدرسةِ محمد عبده - أنجبِ تلاميذ جمال الدين الأفغاني - فلقد حدد الشيخ الغزالي منهاج هذه المدرسة التي ينتمي إليها مشروعه الفكري التجديدي - في معرض حديثه عن مدارس الفكر الإسلامي - مدرسة الرأي والأثر،



والموازنة بينهما - كما هو الحال عند ابن تيمية - مع ميل للأثر - ومدرسة الاختيار الشخصي والتنسيق بين وجهات النظر المختلفة - حدد منهاج مدرسته، التي وازنت بين (الرأي) و(الأثر)، على نحو متميز عن موازنة مدرسة ابن تيمية، وذلك (بترويجها للعقل، وتقديم دليله، واعتبارها العقل أصلًا للنقل.

وهي تقدم الكتاب على السنة، وتجعل إيماءات الكتاب أولى بالأخذ من أحاديث الآحاد، وهي ترفض مبدأ النسخ، وتنكر إنكارًا حاسمًا أن يكون في القرآن نص انتهى أمده، من ثم فهي تنكر التقليد المذهبي، وتحترم علم الأئمة، وتعمل على أن يسود الإسلام العالم بعقائده وقيمه الأساسية، ولا تلقي بالًا إلى مقالات الفرق والمذاهب القديمة أو الحديثة)[1].

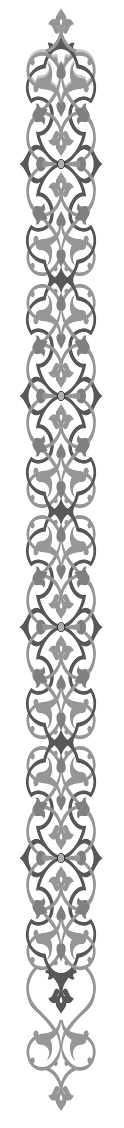
فهو عَلَم متميز من أعلام هذه المدرسة، التي تمايزت اجتهادات وتجديدات أعلامها في هذا الإطار.

● ولقد كان الشيخ الغزالي يوجز الحديث عن الإسلام عندما يقول: إنه (قلب تقي، وعقل ذكي) معبرًا - بذلك - عن منهاج الوسطية الإسلامية الجامع - في مصادر المعرفة - بين كتابي الله: كتاب الوحي المسطور، وكتاب الكون المنظور، وفي سبل المعرفة، بين: العقل والنقل، والتجربة والوجدان، ولذلك كان عطاء الشيخ الغزالي في (القدوة) منافسًا لعطائه

(١) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، (ص ٦٩ - ٧٧)، طبعة دار الوفاء، القاهرة سنة (١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م).







في (الفكر)، كما برئ مشروعه الفكري من الفصام بين العقل والقلـب، وامتزجت فيه الرؤية لمشـكلات الأمة والإنسـانية، والماضي والحاضر والمستقبل جميعًا.

- ففي مواجهة الاستبداد المالي والمظالم الاجتماعية: قدم عدالة الإسلام، في العديد من الآثار الفكرية، من مثل: (الإسلام والأوضـاع الاقتصاديـة) و(الإسـلام والمناهـج الاشـتراكية) و(الإسـلام المفتـرى عليـه بين الشـيوعيين والرأسـماليين) و(الإسلام في وجه الزحف الأحمر)، إلخ.

- وفـي مواجهـة الاسـتبداد السياسـي: دافع عن الشـورى الإسلامية، في كتبه: (الإسلام والاستبداد السياسي) و(حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة)، إلخ.

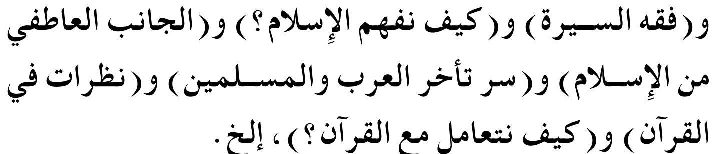
- وفـي مواجهة الهيمنة الغربية وتيارات العلمانية والمادية والإلحـاد والتغريب قدم: (من هنا نعلـم) و(دفاع عن العقيدة والشـريعة ضد مطاعن المستشـرقين) و(الغـزو الثقافي يمتد في فراغنا) و(مسـتقبل الإسلام خارج أرضه وكيف نفكر فيه) و(صيحة تحذير من دعاة التنصير)، إلخ.

- وفـي مواجهة الجمـود والحَرْفيَّة والتقليد قدم: (دسـتور الوحدة الثقافية بين المسـلمين) و(تراثنـا الفكري في ميزان الشرع والعقل) و(قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة) و(السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث)، إلخ.

- ولتجديـد الـذات الإسـلامية: قدم عشـرات الكتب، من مثل: (خلق المسـلم) و(عقيدة المسـلم) و(جـدد حياتك)







و(فقه السيرة) و(كيف نفهم الإسلام؟) و(الجانب العاطفي من الإسلام) و(سر تأخر العرب والمسلمين) و(نظرات في القرآن) و(كيف نتعامل مع القرآن؟) ، إلخ .

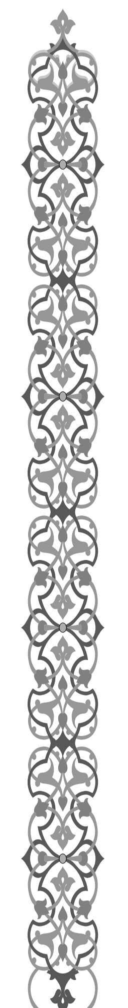
● ولقد كانت رسالة الشيخ الغزالي في حياته الفكرية والدعوية والتعليمية والعملية هي إحياء الأمة بالإسلام، وتحريكها بطاقاته الإحيائية ، (فالجهد الأول المطلوب هو تحريك قافلة الإسلام ، التي توقفت في وقت تقدم فيه حتى عبيد البقر ! ، وسوف تتلاشى التحديات التي تواجهنا يوم يعتنق المسلمون الإسلام ، ويدخلون فيه أفواجًا ، حكامًا وشعوبًا)[٢] ! ،

● وكان داعية لتحرير العقل الإسلامي من قيود الجمود والتقليد ، وذلك بالتمييز بين مصادر الإسلام المعصومة ، وبين الفكر الإسلامي غير المعصوم ، ورفض الادعاء بأن الأولين لم يدَعوا للآخرين مجالًا في الاجتهاد والتجديد ، (فالإسلام هو صائغ الأئمة المجتهدين ، وهم لم يصوغوه ، ومصادر الإسلام معصومة ؛ لأنها من عند الله ، ولكن التفكير فيها والاستنباط منها غير معصوم ؛ لأنه من عند الناس ، والأئمة الأوائل كانوا روادًا في تأسيس الفقه الإسلامي ، والرائد قد يشغله الاكتشاف عن الموازنة والتقدير ، ولعل من يجيء بعده يكون أقدر على

(٢) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، (ص ١٩)، و(هموم داعية)، (ص ١٧)، طبعة سنة (١٩٨٣م).







التنظيم والمراجعة والموازنة والاختيار)[٣].

● وكان يــرى أن صلاح دنيا الناس - بالعدالة الاجتماعية - شرط لصلاح قلوبهم بدين الإسلام، فعدالة الإسلام هي الطريق إلى فضائل الإسلام وتقوى القلوب، (إذ من العسير أن تملأ قلب إنســان بالهدى، إذا كانت معدته خالية!، أو أن تكســوه بلباس التقوى، إذا كان جســده عاريًا!، فلا بد من التمهيد الاقتصادي الواسع، والإصلاح العمراني الشامل، إذا كنا مخلصين حقًّا في محاربــة الرذائل باســم الديــن، أو راغبين حقًّا فــي هداية الناس لرب العالمين)[٤].

● وكان يدعــو - فــي فهــم المصدر الأول للإســلام: القرآن الكريــم - إلى تدبر محاوره الجامعة: التوحيد، الذي هو قانون الوجــود ونظام الحيــاة، وطريــق تحرير الإنســان وملكاته من العبودية للطواغيت، وآيــات الله الكونية، المبثوثة في الأنفس والآفاق، والتي على تعقلها ترتفع أركان الدين وأعلام الإيمان، والقصــص القرآني، كأداة للتربية والتزكية، ومعالم على طريق الاعتقــاد الديني، ونبأ الغيب والبعــث والجزاء، ودوره في بناء الأخــلاق، والتربيــة والتشــريع، لصلاح الدنيا، الذي يتأســس عليه صلاح يوم الدين[٥]

● وكان مدافعًــا عن ســنة رســول الله ﷺ، فهي مــع القرآن:

---

(٣) دستور الوحدة الثقافية، (ص ٨٥ - ٩٣).

(٤) الإسلام والأوضاع الاقتصادية، (ص ٦١، ٦٢)، طبعة سنة (١٩٨٧م).

(٥) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، طبعة سنة (١٩٩٤م).





(قوام الإسلام، وهي الامتداد لسنا القرآن، والتفسير لمعناه، والتحقيق لأهدافه ووصاياه، وكما أنه لا فقه إلا بسنة، فلا سنة بغير فقه، والحكم الديني لا يؤخذ من حديث واحد مفصول عن غيره، وإنما يضم الحديث إلى الحديث، ثم تقارن الأحاديث المجموعة بما دل عليه القرآن الكريم، فإن القرآن هو الإطار الذي تعمل الأحاديث في نطاقه لا تعدوه، والأحكام في الأحاديث الصحيحة مأخوذة ومستنبطة من القرآن، استنبطها النبي ﷺ من القرآن، بتأييد إلهي، وبيان رباني)، فهي بيان نبوي للبلاغ القرآني، وإرادة من الله لنبيه، ليفصِّل ما أجمله القرآن[٦].

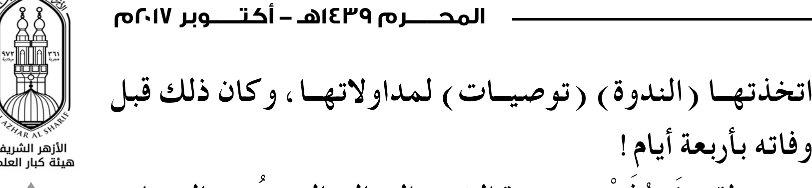
● ولقد عاش الشيخ الغزالي حياته وقلبُه معلقٌ بالمساجد، وكان حلم حياته - الذي حققه عندما كان مسئولًا عن الدعوة بوزارة الأوقاف - أن تصبح المساجد جامعات إسلامية حرة لشباب الأمة وجماهيرها، تلقى فيها الدروس المنظمة في علوم الدين والحضارة الإسلامية، حتى لقد كان آخر الأوراق التي كتبها إلى الندوة التي عقدت بجامعة الأزهر - يوم ٥ مارس سنة ١٩٩٦م - حول المساجد والدعوة الإسلامية - والتي حال سفره دون حضوره لها - كانت بمثابة (الوصية) التي كتبها؛ لتحويل المساجد إلى جامعات للثقافة الإسلامية، ولقد

---

(٦) دستور الوحد الثقافية (ص ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٦ ـ ٣٨)والسنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (ص١١٨ ـ ١١٩) طبعة سنة ١٩٨٩م ، وهذا ديننا (ص ١٩٧) طبعة سنة ١٩٦٥م .







اتخذتهـا (الندوة) (توصيـات) لمداولاتهـا، وكان ذلك قبل وفاته بأربعة أيام!

● ولقد شَـرُفَتْ بعضوية الشيخ الغزالي العديدُ من المجامع الفكريـة والمؤسسـات العلميـة، مـن مثل (مجمـع البحوث الإسـلامية) بالأزهـر الشـريف، (والمجمع الملكـي لبحوث الحضـارة الإسـلامية) بـالأردن، و(المعهـد العالمـي للفكـر الإسـلامي) بواشـنطن، و(الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية) بالكويت، إلخ.

● كمـا حصـل الشـيخ الغزالـي علـى العديد من الأوسـمة والجوائز، من مثل:

١- وسـام الأسـير - وهـو أعلـى وسـام بالجزائـر - سـنة (١٩٨٨م).

٢- جائزة الملك فيصل العالمية - لخدمة الإسـلام - سـنة (١٩٨٩م).

٣- جائزة الامتياز - من باكستان - سنة (١٩٩١م)،

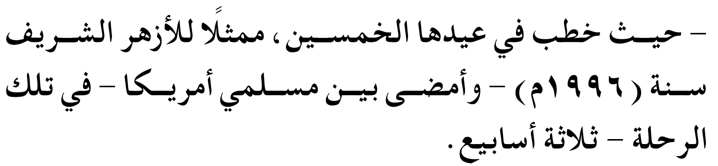
٤- جائزة الدولة التقديرية - من مصر - سنة (١٩٩١م).

٥- جائـزة علـي وعثمـان حافـظ - لمفكـر العـام - سـنة (١٩٩١م).

● ولقد عاد الشيخ الغزالي للإقامة الدائمة بمصر - في منزله رقم (١٠) بميدان الدكتور سـليمان - بحي الدقي - بالقاهرة - منذ سـنة (١٩٨٨م)، وكانت أسفاره إسهامًا في الملتقيات العلميـة والفكرية، وكان من أواخرها رحلته إلى الأمم المتحدة







- حيث خطب في عيدها الخمسين، ممثلًا للأزهر الشريف سنة (١٩٩٦م) - وأمضى بين مسلمي أمريكا - في تلك الرحلة - ثلاثة أسابيع.

●وبعد أسابيع من عودته، سافر إلى المملكة العربية السعودية، للمشاركة في المهرجان الوطني للثقافة - الجنادرية - حيث لبى نداء ربه، فصعدت روحه إلى بارئها - في قاعة الملك فيصل - والقلم في يده يدون نقاطًا للدفاع عن الإسلام، مساء يوم الجمعة ١٧ شوال سنة ١٤١٦هـ، ٩ مارس سنة ١٩٩٦م؛ ليدفن (بالبقيع)، في المدينة المنورة، عاصمة النبوة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.







- ٢ -

بين يدي هذا الكتاب

في مطلع القرن الهجري الخامس عشر اعتزمت (دار ثابت) لصاحبها الصديق أسامة خالد - نجل العلامة الشيخ خالد محمد خالـد (١٣٣٩ - ١٤١٦هـ - ١٩٢٠ - ١٩٩٦) - إصدار عدد من الكتب التي تستشـرف مسـتقبل الإِسـلام في مطلع هذا القرن الهجري الجديد.

وكان شـيخنا محمد الغزالـي (١٣٣٥ - ١٤١٦هـ ١٩١٧ - ١٩٩٦م) في طليعة العلماء الذين اعتزمت الدار اسـتكتابهم في هذا المشروع.

ولقـد اقترح الشـيخ خالد محمـد خالد على ابنه أسـامة أن يطلب مني وضع مئة سؤال،[٧] كي يجيب عليها الشيخ الغزالي - الـذي كان يدرس، يومئذ بجامعة قطـر - لتكون إجاباته معالم استشراف مستقبل الإِسلام في واقعنا الحضاري المعيش.

---

(٧) المنهج الذي نلتزم به في مجلة الأزهر يتضـمن حذف الألف من كلمة (مائة) لأن إثباتهـا يفسر من باب الكتابة المزدوجة لحرف هجائي واحد، إذ كان رسـم الهمزة في القديم هو ما نسميه اليوم ألفا، وما دامت أعرافنا الكتابية قد استقرت علي الرسـم الخاص للهمزة المعروف لنا وهو مـن ابتكار الخليل بن أحمد فإنه ينبغي حذف رسـمها القديم من الكلمة. ولكننا أبقينا تلك الألف في كلمة (مائة) في عنوان الكتاب فقط، محافظة علي صورة العنوان، ولئلا تصبح نتيجة البحث على الحاسـوب نتيجة خاطئة. إذا بحث الباحث عن طبعات كتاب (مائة سـؤال عن الإسلام). (المجلة)





ولقد وضعت الأسئلة المئة، وقام الأستاذ خالد باستبدال بعضها، وأرسلها إلى الشيخ الغزالي ـ الذي قال عنها: (إنها وضعت بحكمة، وسيقت إلى هدف، وأن الإجابة الحسنة عنها تغني الثقافة الإسلامية، وتجلو غبارا كثيرا عن حقائق الرسالة الخالدة).

● وإذا كان الشيخ الغزالي قد خلف لنا تراثًا زادت كتبه عن الستين، وبلغت دراساته ومحاضرات وخطبه ومقالاته ومحاوراته عدة آلاف، فإن إجاباته على هذه الأسئلة المئة عن الإسلام ـ ماضيه وحاضره ومستقبله ـ وعن أمة الإسلام ـ عالمها وواقعها المعيش ـ إنما تمثل (معالم المشروع الحضاري) لهذا العالم الجليل الذي مثل واحدًا من أبرز مجددي الإسلام في القرن العشرين.

● ولقد نثرنا الفكر الذي أبدعه الشيخ في هذه الإجابات، وألفنا بين معالمه، وقمنا بتصنيف مفرداته، فجاءت هذه المعالم لهذا المشروع الحضاري، الذي حرصنا على أن نقدمه بنص كلمات الشيخ، والذي جاء فيه عن معالم هذا المشروع:

١ - الإسلام:

هو عنوان جميع الرسالات التي هدت الناس من بدء الخليقة إلى يوم الناس هذا، وحقيقته التي بلغت تمامها وأخذت صورتها الأخيرة في رسالة محمد ﷺ، ولا يصح الإسلام إلا باكتمال حقيقتين مهمتين:

أولاهما: حسن معرفة الله.





الأزهر الشريف
هيئة كبار العلماء

وثانيهما : الانقياد له وتنفيذ أوامره .

ولقد كانت النبوات السابقة محلية ومؤقتة ، أما النبوة العامة ـ الخالدة فهي نبوة محمد ﷺ وحده لا يشركه في ذلك نبي من السابقين .

وبعـد أن زود الإسـلام الإنسـان بالوصايـا الأخيـرة للوحي الإلهي ، وَكَلَ إلى عقله أن يتحرك ويشـق طريقه ، فانتهاء عصر الوحي هو ابتداء عصر العقل .

والخمـس التي بني عليها الإسـلام هي : شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسـول الله وإقام الصـلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان وحج البيت ، هذه دعائم البناء ودعائم البيت غير جدرانه وسـقفه وأبوابه ونوافذه ومرافقه ، إلخ ، إنني أشـعر بأن الإسلام هـو الدين الأوحد لمواجهة هـذا العصر أليس عصر العلم؟ بلى وكذلـك دينـي دين العلـم الذي أهـاب بالنـاس أن يبحثوا كل شـيء : ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾ (الأعراف : ١٨٥)

إن العلم مؤمن لا ملحد وهو يدعو إلى الإيمان لا إلى المروق وما كفر العلم في الأغلب الأعم ـ إلا بما يجب الكفر به من كهانات وخرافات ومتناقضات وأنا أؤيده في ذلك كله ! إنني أرى بلادة الكفر ضربا من الحيوانية ! ، أو هي أقرب منه أليس يقول ربي : ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ (الأنفال : ٢٢)





وإن الزعــم بــأن جمهور العلماء لا دين لهم كذب أو شــائعة تنشر لغرض خسيس !

إن روحي تعشق المعرفة كما يعشق الجسم وجبة شهية ومن محبة العلم يجيء هذا الدعاء : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه : ١١٤)

وعلى المسلم إذا أحب مرضاة ربه أن يزداد تضلعًا في العلم واستكشافًا لآفاقه .

وما يســمي بالعلم المادي - أعني العلم الباحث في ملكوت الله - أرجــح موضعًــا وأطيب ثمرة من الفلســفات الشــرود التي شــاعت قديمًا وحديثًا ولم تكســب الإنســانية منها إلا الحيرة والجدل والغرور .

وعلــى المســلم أن يجيد الصناعــات المحدثــة ، وأن يألف استخدامها واســتصلاحها ، وأن يتفوق على جن سليمان الذين قال الله فيهم :

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (سبأ : ١٣)

وعلينــا أن نقتبس من جهود البشــر مــا يحقق الأهداف التي يتفق عليها العقل والنقل ، وإذا ســبقنا غيرنا إلى عمل ما يحقق العدالة فنحن أولى به .

وإن الحضارة الحديثة - برغم مقابحها الكثيرة - تجاوبت مع العقل والفطرة في ساحات علمية ودستورية واسعة ، ومن حقي





أن أترك شرها وأقبل خيرها.

إن هـذه الأمـة الإسـلامية لا تصلـح إلا بدينها وحـده، بعد اسـتكمال العناصر الناقصة منه - وهي خطيرة - وبعد اسـتبعاد الخرافات الملصقة به - وهي كذلك!.

إن أمتنا بطبيعتها سوف تستعصي على كل حل غير إسلامي، وسـوف تُبذل المحاولات الدامية لإكراهها على تجرع أدوية لا تريدها، وسـوف تتبدد الطاقة - طاقة الشـعب والدولة معا - بين الأخذ والرد.

وفـي غضـون هـذا التناقـض الداخلي يكسـب الاسـتعمار العالمي معاركه، ويفرض نفسه، إن الإسلام لم يجئ لهدم موسى وعيسى، بل جاء لإحياء ما قالوه وضاع في غمار الماضي:

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (فصلت: ٤٣)

فإذا كان الإسـلام رسـالة لإصـلاح العالم بوحـي الله فكيف يعجز عن إصلاح الأمة التي عَلمَتْهُ وبلغته؟!

وإن العـرب ما دخلـوا التاريـخ إلا بهذا الديـن، وما عُرفت لهـم حضارة وتمت لهم قيـادة وتحققت لهم سـيادة إلا تحت راية الإسـلام فكيف تكلف أمة بنسيان شـخصيتها وحضارتها وتاريخها؟! إن هذا تكليف لها بالانتحار!

هل كل ولاء مقبول إلا الولاء للإسلام؟! وهل كل حل حسن إلا الحل الإسلامي؟!





وربما استطاعت أمم أخرى أن تعيش قصيرًا أو طويلًا وفق فلسفات مادية أو خلقية لا صلة لها بالسماء ولكن أمتنا تحول مزاجها وكيانها إلى جهاز فريد لا يدور فيه إلا مفتاح واحد هو الإِسلام وستذهب جميع المحاولات الأخرى سدى لا محالة.

غير أن الحل الإِسلامي لا يُؤخذ من أفواه الجهلة والكذبة، إن الإِسلام: قلب تقي وعقل ذكي، قلب خاشع وفكر فاضل، وأمانات مرعية في تقلب المرء على ظهر الأرض منذ رشده إلى أن يلقى ربه.

ومعنى أني مسلم أني أومن بموسى كأحد أتباعه الذين عاصروه وأيدوه، وأومن كذلك بعيسى كواحد من حوارييه الذين يحبونه وينصرونه كل ما هناك أني أضم إلى الإِيمان بهذين الرجلين الصالحين إيمانًا برجل آخر هو آخذ لهما ومُحيٍ لتعاليمهما، رجل تلقى من ربه هذه العبارة

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾

(فصلت: ٤٣)

إن الإِسلام انتقل بالحياة البشرية نقلة حاسمة في عدة مجالات:

(أ) نقّى عقيدة الوحدانية من كل شوائب الشرك.

(ب) رفض أي عنصر في الإِيمان يناقض العقل.

(ج) أقر المساواة في الحقوق الواجبات على اختلاف الألوان والأديان.





(د) خفف من ويلات الحروب وحّرم الدمار الشامل.

إن الإسلام يمزج بين الدين والدولة والعبادات والمعاملات، وإن المبدأ الإسلامي الأول في التربية هو: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ (الشمس: ٩)

●●●

٢- الذات العلية:

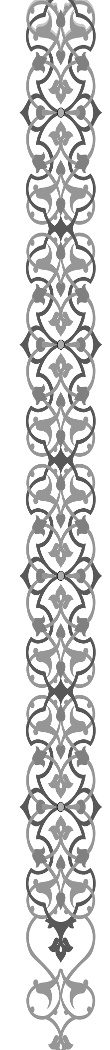
إنني أعُدّ الباحثين في ذات الله مرضى! فنحن على تفاهتنا ـ لا نعرف من نحن؟ فكيف تعرف الذات العليا؟!

والأفهام البشرية في ذات الله تتفاوت تفاوتًا بعيدًا بين التجسيد والتجريد، فكتّاب العهد القديم صوروا الله يبكي ويندم ويمشي ويقعد ويأكل ويشرب ويضرب إلى جانب ما له من صفات رفيعة، ومن أغرب الصور أنه جلس مستلقيًا على قفاه متمددا على الأرض واضعًا قدمًا فوق أخرى وفلاسفة اليونان المؤلهون ـ وفي مقدمتهم (أرسطو) (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م) ـ صوروا الله منزها من كل شيء، حتى عن الصفات التي يعلم بها ويقدر بها، فهو عالم بذاته قادر بذاته، وبالغوا في التجريد حتى كأن الله معنى لا ذات!

فإذا تجاوزنا الأفهام البشرية إلى الوحي الأعلى، واستمعنا إلى القرآن الكريم وجدنا أوصافا تُقرِّب معنى الألوهية إلى الحس الإنساني، من غير تجسيد، وتبلغ بها كمالًا لا يتناهي من غير تجريد.







المسلم يقرأ قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ (ق : ١٦)

فيشعر بأن الله قريب منه ومطلع على دخيلته ، ومع ذلك فهو يعلم أن الله مستوٍ على عرشه محيط من وراء خلقه ، إنه يحس بالله دون أن يجسده ، وينزه الله دون أن يفقده ، إن اللغات على كثرتها من وضع البشر وقد ألّفوها ليعبروا بها عما يريدون من معان ، وما يستخدمون من أدوات ، وشئون الألوهية فوق اللغات وفوق واضعيها ، فإذا أفهمنا الله بلغاتنا شيئًا يتصل بذاته العليا فعلى أسلوب التنزيل والتقريب .

وإذا كان عبد الله بن عباس يقول : إنه ليس في الدنيا من أوصاف الجنة إلا الأسماء ، يعني أن الحقائق لم ترها عين ولم تسمعها أذن ، فكيف بالحديث عن رب العالم خالق الجنة ـ والنار ؟ ! إن موضوع العلم هو المادة وما تولد منها ، فإذا اتصل الأمر بشيء وراء المادة توقف بحثه .

ولا ريب أن العلم المادي تقدم في عصرنا تقدمًا عظيمًا ، ووصل إلى كشوف باهرة ، ولقد استفدت من هذا العلم في دعم إيماني وزادني إجلالا لربي .

إن السماوات حق ولا نعرف كنهها والملائكة حق ولا نعرف كنهها ، ولم نُكلّف بذلك وليس في العلم ما ينافي ذلك .

وهناك ـ في ميدان العلم ـ مقررات علمية مستيقنة لم يوجد



في الإِســلام ما يخالفها ، وهناك نظريات تشبه الاجتهاد الفقهي عندنا ، لا يمكن التعويل عليها أو التسليم المطلق بها ، وعسى أن ينقض البحــث العلمي فيها اليوم ما أبرم بالأمس ، وأن يهدم الغد ما بناه اليوم .

هــذه النظريــات العائمة لا نتــرك من أجلها رأيــا لفقيه ، ولا حديث آحاد ؟ لم ؛ وافتراض الصواب والخطأ واحد في الطرفين ؟

إننا سنستبقي ما لدينا على حاله حتى يقطع الشك باليقين .

ويؤســفنا أن الكهــان في ميــدان العلم أكثر مــن الكهان في ميــدان الديــن ، وأنهم يحاولــون بجرأة ترويــج نظريات مهتزة وإكسابها -أمام القاصرين- طابع اليقين .

إن أســماء الله الحسنى هي تقريب للعظمة الإِلهية من العقل الإِنساني الكليل ، ومن مشاعر البشر المأنوسة ، وإلا فلا يعرف الله إلا الله أو كمــا وصــف رســوله محمــد ﷺ : (ســبحانك لا نحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك) .

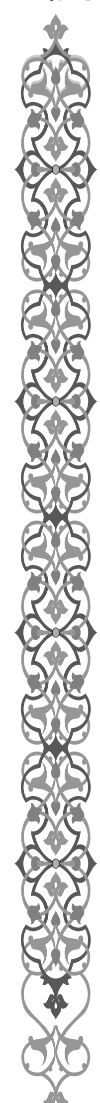
ومعرفة أسماء الله الحسنى ليست إطارا نظريًا للكمال الذي تومــئ إليه ، إنهــا في إحســاس المؤمن لابد أن تختلط بشــئون الحيــاة التي يحياها ، وتملي عليه الســلوك الــذي يلائمها ، فلا يمكــن عزلها عن الكــون والحيــاة فالإِيمان بــالله لا يتم داخل صومعة معتمة لا ضوء بها ولا حراك ولا جهاد .

إن علماء الكون يشــعرون بضآلة أمام أبعاده وأغواره فكيف يكون الشعور أمام من أبرزه من عدم ، وبنى فأوسع ؟







٣- البعث والجزاء:

إن إنشـاء الحياة في عالم الإنسان والحيوان والنبات يتكرر كل يوم، فلماذا نستبعد بعثا يتم مثله بين أسماعنا وأبصارنا؟

إن انتشار الجهالة لا يعطيها وجاهة! وإذا كان منكرو البعث كثيرين فليسوا إلا قطعانا من الغافلين أو المستغفلين!

إن العدالـة لا تتحقـق في هـذه الدنيا، فهناك سـفلة تبوءوا القمـم، وعباقـرة موسـدو التـراب، وقتلـى أزهـق المجرمون أرواحهم وعادوا يضحكون أو يسكرون.

إن الآخرة حق لأنها تصحيح لأوضاع، ورد لاعتبار، وتحقيق لعـدل اختبر الله النـاس بتأخيره إلى حين، هـذا الحين جزء من نظام الدنيا ومن امتحاناتها الصعبة ولابد من مراعاته.

والذي نحسبه نحن أن الزمان سوف ينعدم كما ينعدم الوزن عند رواد الفضاء، وهل الخلود إلا انعدام الزمان؟

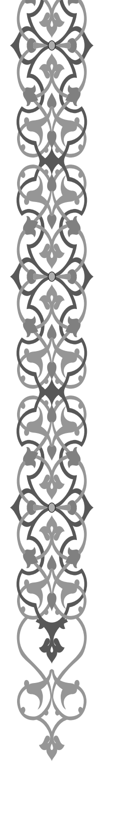
وأن رب العالمين سيجعل الخلق في حال من الإحساس العام بكل ما أسـلفوه في الدنيا وكأن أشـرطة مسجلة تمر بأذهانهم ملأى بكل ما كان منهم وحكم الله فيه.

والجزاء مادي وروحاني معًا، إنه للإنسان الذي عبد بجسمه وعقله، أو فجر بجسـمه وعقله! ولا يسـتطيع أي دارس للقرآن الكريـم أن يفسـر آياته في وصـف الجنة والنـار بأنها من قبيل المجاز. وليس هناك بتة ما يدعو لهذا التعسف في التفسير.

والنظر إلى مادية الإنسـان بأنها معرة، ولذاته الحسية بأنها هبوط هو تأثر بفلسفات خيالية لا وزن لها.







نعـم إن مع هذه اللذات ما هو أسـنى وأزكـى معها الرضوان الأعلى والاستغراق في شهود أمجاد الألوهية :

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ (المطففين : ٢٢ - ٢٤)

لقـد أخطأ كثيـر من المنتسـبين إلـى الدين فـي احتقارهم للبـدن، وفهمهم أن التسـامي لا يحصل إلا بسـحقه، وفهمهم بعـد ذلك أن الحياة الأخروية لا وجود للبدن فيها وأن النعيم أو الجحيم معنويان وحسب.

وقـد سـرى هذا الخطـأ - كلًا أو جـزءًا - إلى بعـض متصوفة المسـلمين، فاعتنقوه، وحسـبوه دلالة ارتقـاء وتجرد فظلموا بهذا المسـلك دينهم، وأوقعوا خللًا سـيئا فـي موازين الجزاء كما أقامها الكتاب العزيز.

إن الإنســان مخلوق من عنصرين متباينين: جسـمه من هذه الأرض خلق ونما، وروحه من نفخة من الله سبحانه وتعالى، فهو ليس حيوانا وليس ملاكا، وفي كيانه تتجاور المتناقضات، من غرائز مادية وسبحات عقلية وعاطفية!

وعندمـا يموت يرجـع إلى الأرض ما نشـأ منها وتغذى على نتاجها. يرجع الجسد ليبلى، ويفنى منه ما شاء الله:

﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾

(طه : ٥٥)

أما الروح فله مسـتقر آخر، إن الشـخصية الإنسانية لا تفنى



بالموت وإنها رحلت من عالم إلى عالم آخر، وإنه كما يسافر أحدنا من بلد إلى بلد يسافر الموتى من مكان إلى مكان حيث تبدأ حياة الآخرة ويبدأ الحساب الرهيب تمهيدًا للمحاكمة الكبرى يوم النشور.

وهذه المرحلة المتوسطة هي البرزخ كما ذكرت الآية:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩٩، ١٠٠)

ويشبه ما يلقاه الفجار في البرزخ ما يفعله رجال الشرطة بالمجرمين عندما يقعون في قبضتهم، هناك تحقيق ابتدائي سريع، ثم يرمى المتهمون في السجن ريثما يقدمون للقضاء في محكمة كبرى.

ويشبه ما يلقاه الأبرار ما يصنعه رجال العلم عندما يستقبلون مؤلفا تقررت مكافأته، أو عبقريًا منح جائزة سنية، إنه يجاء به مكرمًا، ويستريح في إحدى الغرف الأنيقة ريثما يأخذ ما تقرر له.

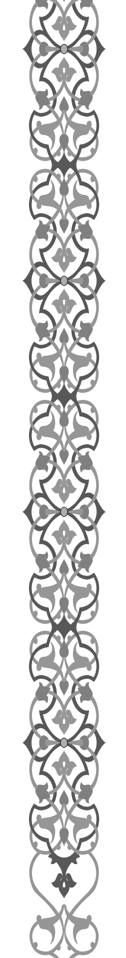
***

٤- القرآن الكريم

إن القرآن كتاب يتحدث في العقائد والعبادات والأخلاق والقوانين والشئون المحلية والدولية ويصف الكون ويسرد التواريخ مثلما يتحدث عن الله وصفاته وحقوقه سواء بسواء،







وألفاظه ومعانيه من عند الله.

وقـد كان ذلـك المصدر الأول للمعرفة عند السـلف، إذ إن سـليقتهم اللغوية مكنتهم من الاستمداد المباشر من آيات الله، والحـق أن الذين أنصتوا للرسـول الكريم وهو يتلو كتابه بلغوا شـأوًا لا يضارِع في السـمو الفكري والتربوي، فليس عجبًا أن ينطلقوا مشـاعل هـدى في أرجاء الأرض ينقلوهـا من الظلمات إلى النور.

إن القـرآن معجـز تحدى الله به الإِنس والجـن، وهو مقطوع بثبوته كلمة كلمة.

وهنـاك فارق ضخم بين تاريخ الإِسـلام ـ في نشـأته الأولى ـ وتاريخ الدينين السابقين عليه، أعني اليهودية والنصرانية، إن الإِسـلام تحول على عجل إلى دولة قائمة لها سـلطات وطيدة، أما النصرانية فلم تقم لها دولة إلا خلال القرن الرابع لوجودها، وإذا كانت اليهودية قد صار لها جيش ووجود سياسي على عهد مبكر، فإِن كيانها قد تلاشـى كل التلاشي بعد قليل، وضاعت مقدسـاتها كلها، وهذا الفارق يفسـر كيف بقى كتاب الإِسلام مصونا، وكيف تعرضت كتب أخرى للعوادي الماحقة.

لقـد ظل النبـي ﷺ يتلقى القـرآن في مكـة المكرمة ثلاث عشـرة سـنة، كان كل حـرف ينزل يعيـه الحفظة فـي قلوبهم ويسـجله الكتبة في صحفهم، وكان هـذا القرآن معروفا للعدو والصديق.

وعندما انتقل نبي القرآن إلى المدينة باشـر هناك سـلطات





رئيس الدولة وظل القرآن ينزل عشر سنين أخرى، الكتبة يسجلون بإشراف الرسول عليهم، والحفظة يختزنون العلم في صدورهم وما يكتب ويحفظ تعاد تلاوته في الصلوات الخمس وفي قيام الليل وفي مجالس التلاوة وفي خطب الجمعة. الأفراد والجماعات مقبلة على قراءة الكتاب العزيز.

حكومة قائمة ترى القرآن دستورها ومنارها، فهي تحفظه وتحافظ عليه، وترسل الوفود به إلى الآفاق، من أين يتطرق الريب إلى كتاب هذه بيئته الأولى؟

ما عرفت الدنيا منذ بدء الخليقة مثل هذا الصون لكتاب من الكتب.

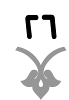
ومضت دولة النبوة، ثم جاءت دولة الخلافة الراشدة وظلت هذه الدولة ثلاثين عاما شرَّق فيها الإسلام وغرَّب، وأُثر عن جيوشها أنها كانت لا ينتهي لها هدير بالتلاوة آناء الليل وأطراف النهار.

ومضت دولة الخلافة وجاءت دول أخرى كثيرة فماذا حدث خلالها للقرآن؟

كان تواتره يمتد ليشمل أجيالاً أخرى وكانت مصاحفه تملأ المساجد والعواصم والدور والقصور، وصدق الله العظيم:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)

إن القرآن هو السجل الجامع للعقيدة التي بلغها المرسلون وتواصوا كابرًا عن كابر أخذ الناس بها وتنشئتهم عليها.





ومنذ أربعة عشر قرنا لم يتغير شيء من هذه الثلاثة : الشمس هي الشمس ، و القمر هو القمر ، والقرآن هو القرآن ، لقد أحكم الله آيـات القرآن الكريم ويسـر فهمها وذكرها وما تشـابه من آيات القرآن فلا علاقة له بالأحكام العملية والمسـالك الفردية والاجتماعية .

وليـس هناك آية قـط يمكن الحكم عليها بوقـف التنفيذ أو تعطيل علمها ، تصريحًا ، أو تلميحًا .

ويؤسـفني أن ناسًا كثيرين يريدون أن توضع شرائع الإسلام على الرف أو يحكم على بعضها بالإعدام تمهيدًا لإنفاذ الحكم فيها كلها .

والأمـر لا يحتاج إلى الحيلة ، فلنقـل : إننا نتجاوز النص إلى روح النـص ، أو لنقـل إن الظروف التي نزل فيهـا النص قد طرأ عليها تغيير فليتغير النص تبعا لذلك !

مـا أسـهل تطويق الإسـلام بهـذه الطريقة أو جعله اسـما لا حقيقـة له أو جعله شـكلًا لا موضـوع له ! ولقد بدأ سماسـرة الاسـتعمار تنفيذ الخطة فسـمعنا من يقول :إن الضرائب تغني عـن الزكاة ومن يقول : إن الصلاة والصيـام يعطلان الإنتاج فلا حرج مـن التنازل عنهمـا ! ومن يقول : إن حرمـة لحم الخنزير لقـذارة مراعيه قديمـا ، وقد زالت الآن هـذه العلة ! ومن يقول : إن العربدة في الطريق هي سـر تحريم الخمرة فمن يتناول منها قليلا في بيته فلا حرج ! إلخ .

وهكذا تنهد أركان الدين وتضيع معالم الحلال والحرام باسم






(روح النص) و(تغير الظروف) ويمنع انتفاع الناس بالإسلام، بل يمنع دخولها فيه وينفسح المجال بعد ذلك للإلحاد، أو للأديان الخرافية ومعروف أن تعطيل شرائع الحدود والقصاص كان تمهيدًا للقضاء على العبادات والعقائد والتاريخ والتراث واللغة وسائر مقومات الأمة.

إننا لسنا من المتعصبين للفقه الظاهري، بل على العكس نحن مع الجمهور على أن القياس من أدلة الشريعة، ومع أغلب الفقهاء، في رعاية المصلحة المرسلة، واحترام جملة القواعد التي تحكم الفكر التشريعي عندنا.

إنه لا شكاة من نص معين، ولا شكاة من أمر أو نهي عن محرم، الشكاة من فهم ضيق لأحد النصوص أو من واجب لم يرد به أمر أو من تحريم لا يسنده نهي، وعلاج هذا الخلل ميسور بل هو عمل المجددين والمصلحين والدعاة الفاقهين.

● وإن القصص القرآني جزء من التاريخ المهم، ومعرفتها حصانة للباحثين لا يستغنى عنها ذو لب، إنها سرد واعٍ موجه للتاريخ الإنساني ليس الغرض منه الإلهاء والتشويق، بل الغرض منه التربية والتوعية، وتجديد المعاني بعد انتهاء أهلها لتكون عظة دائمة!

وإن اتهام القرآن بأنه يعرض خيالات فنية أو يمزج في سياقه بين الواقع والخيال اتهام لا مسوغ له، وهو في نظرنا بلاهة نشأت عن اتباع المستشرقين.

والمستشرقون يحسون ما في كتبهم من غثاثة وعوج وبعد






عــن الحق ويريدون الإيهام بأن القــرآن لا يزيد على غيره وهذا كذب لا يروج عند عاقل.

إن القــرآن ليس كتابا فنيا في الجغرافيا أو التاريخ، إنه يهتم بالجانب الإنساني والاجتماعي وحسب. ومن ثم كان القصص القرآنــي مجالا رحبا لمعالجــة النفوس والجماعــات من عللها المتنوعة بما يلائمها من الدواء الناجع، فســبك القصة ملحوظ فيه نقل ما يفيد الناس من بدء الوحي حتى قيام الساعة.

ليس المهم تحديــد مولد أو وفاة وليس المهم تحديد موقع أو حتــى تحديــد الشــخص فما يفيدنــا أن نعــرف (هوية) ذى القرنين، أو الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يســعى، المهم تقديم الشــفاء النفســاني والاجتماعي من خــلال تاريخ صادق وقصص حق.

إن ســير الأفــراد والأمــم يخضع لســنن دقيقــة، وإن ازدهار الحضــارات وانطفاءهــا، وبقــاء الــدول أو فناءهــا لا يتم خبط عشــواء، وإنمــا يقــع وفــق قوانيــن صارمــة، بــل إن القوانيــن الاجتماعيــة لا تَقِلّ عن القوانين العلميــة دقة واطرادا، ومن ثم كان تجاهل هذه القوانين وخيم الآثار.

إن العلــوم المدنيــة متروكــة للاجتهــاد المطلق وأساســها الملاحظة والتجربة والاستقراء، ولما كانت هذه العلوم متصلة بشــئون الدنيا فإن دائرتها ليست وقفا على جنس من الأجناس أو عصر من الأعصار، والسباق العالمي فيها يجري دون توقف.

وقد أفهمنا المعصوم ـ صلوات الله عليه ـ أننا في هذا الضرب





من المعرفة الإنسانية أحرار حرية تامة فقال : (أنتم أعلم بأمر دنياكم) [صحيح مسلم] .

وليس للوحي الإلهي دخل في البحوث الكيماوية أو الكشوف الفلكية أو الإنتاج الصناعي ، إلخ ، وليس في تاريخ الثقافة الإسلامية علم ديني بعيد عن الحياة ، وعلم مدني بعيد عن الدين ، ولم يقع انقسام العلم إلى ديني ومدني إلا في عصور السقوط والاضمحلال .

وإن منطق الملاحظة والتجربة هو منطق قرآني المنبت .

● وللنسخ معنيان:

أحدهما : سائغ لا ريبة فيه ، وهو تخصيص عام ، أو تقييد مطلق ، أو إظهار حكم ما بطريق التدرج .

والثاني : محو حكم سابق بآخر لاحق ، وهو عند التحقيق العلمي لا وجود له في القرآن الكريم .

بيد أن حمى النسخ أصابت قومًا من الفقهاء والمفسرين فجعلتهم يقولون كلامًا غريبًا ، وقد وصل بعضهم بالآيات المنسوخة إلى بضع مئات وهذا كلام منكر ، وقد رفضه الراسخون في العلم .

لقد رأيت القائلين بالنسخ يتورطون في مهازل ، علة هذا أنهم بعيدون عن التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، فما من آية في كتاب الله قيل بنسخها إلا كان هناك قول آخر بإحكامها .

إنه لا نسخ في القرآن الكريم أبدا ، إلا ما كان بمعنى تخصيص العام ، أو التدرج في التشريع ، وإن الآيات نوعان :





تكليفيــة وكونية والمقصود بالآيات الكونيــة خوارق العادات التــي يجريهــا الله لتأييــد أنبيائه، وأمــا الآيــات التكليفية فهي كلمــات الله المتضمنــة هداه لعباده، والنســخ يقــع في الأولى ولا يقــع في الأخرى، فــإن المعجزة التي تصلــح لأمة لا تصلح لأخرى، فالنسخ ليس في آيات تكليفية أو أحكام شرعية وإنما هو في حقيقة المعجزة التي تصحب رسالات المرسلين.

ومن الشائعات التي انطلقت في ميدان النسخ أن هناك قرآنًا أنــزل ثم ســحب! والمعروف في ديننــا أن القــرآن لا يثبت إلا بالتواتر الذي يفيد اليقين، وأن خبر الواحد لا يثبت قرآنا أبدًا، فالزعم بأن قرآنا كان ثم رفع كلام لا يلتفت إليه.

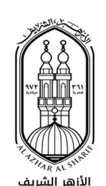
والقرآن الكريم قد ينسخ أحكامًا جاءت في السنة الشريفة وذلك مثل نسخ استقبال قبلة بيت المقدس في الصلاة باستقبال المسجد الحرام واستقبال بيت المقدس لم يكن بنص قرآني وإنما كان بإلهام إلهي عن طريق السنة التي يُهدَى إليها قلب الرسول الكريم.

ومن قبيل نســخ الســنة بالقرآن الكريم منع تســليم النساء المؤمنات إلى قريش، وقد كان عهد الحديبية ينص على رد كل من آمن إلى وليه في مكة حتى نزل قوله تعالى:

﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ﴾ (الممتحنة: ١٠)






٥- الرسول ﷺ :

لقد اتفق الدارسون لشخصية محمد على أن قدراته الروحية خارقة للعادة، وأنه يخطف البصائر بطيب نفسه وعظمة خلقه ووهج مشاعره، وأنه استطاع بالقرآن الكريم أن يشرح صدورًا ويوسع آفاقًا، وينقل جيلًا من البشرية الضيقة إلى الربانية الرحبة المشرقة.

وفينا رسول الله يتلو كتابه
إذا انشق مكنون من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالمشركين المضاجع(٨)

إنه وحده الأسوة الحسنة في الإيمان والتقوى والخلق والاستقامة، ولا يُعرف في تاريخ الهداية رجل مثل محمد ﷺ أحسن صوغ النفوس وإيقاظ ملكاتها وإدارتها بأعظم ما فيها من طاقة، وجعلها تدفع ولا تندفع، وتؤثر ولا تتأثر.

ولقد ثبت لكل ذي بصيرة، أن محمدًا وحده هو الإنسان الأول، والقمة الأولى، في تاريخ الحياة من أزلها إلى أبدها، وأن المثل الأعلى والقدوة الصالحة لا يؤخذان إلا من سيرة محمد وصحبه، إن سيرة الرسول لم تكن سيرة رجل يعيش في

(٨) من شعر الصحابي عبد الله بن رواحة.





صومعة، وإنما كانت سيرة عابد مجاهد، صومعته الدنيا كلها.

إن الأبــواب كلهــا موصــدة أمام مــن حُرم من هــدي محمد ﷺ فهو إمام الأتقياء وسـيد المربيــن، وأنا أحد الأرقاء لجميل محمد، الشاعرين بعظمته، والمتابعين لسيرته.

●●●

٦- السُّنَّة النبوية:

إن دراســة القــرآن تســبق دراســة الســنة، أو بتعبيــر آخــر: لــن يكــون فقيهًا في الســنة قصير باع في فقه القــرآن الكريم، والكتاب والسنة معًا دعامتا الدين.

وبعض الناس لا يفقه معنى الرســالة ولا مكان الرسول ﷺ، ويحســب أن القــرآن وحده كاف في هدايــة الناس دون بيان من صاحبــه، ودون تطبيــق عملي يوضح مــراد الله من عباده، وهذا خطــأ بالغ، فإن القــرآن ليس نقطــة عثرنا عليها فــي فلاة، ولا كتابًا نظريًا يستطيع كل امرئ أن يفسره على هواه ضاربًا عرض الحائط بتوجيهات مَنْ نزل عليه وكُلف بتبليغه.

والحق أن تجاهل السنة النبوية جهل فاضح بقدر أعظم رجل فــي تاريخ الإنســانية الطويل، إنــه عندما يتكلــم يبلغ عن الله، ويصدر عن فؤاد موصول بنور السموات والأرض:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (الشورى: ٥٢)





بيد أن السـنة الشـريفة ليسـت كما يتصور البعض، كلاما جمـع بطريـق الجـزاف أو سـجل دون وعـي. لا؛ إن جميـع الضوابط التي يمكن حشدها لضمان الصدق والدقة قد اتخذها علماء المسلمين.

ثم إن السـنة العملية وصلت إلينا بطريق التواتر الذي وصل به القرآن نفسـه، فلا مجال لإنكار صـلاة أو زكاة من الصلوات المكتوبة، أو الزكوات المحسوبة.

ولا يتعـارض حديث مـع كتاب الله أبدًا، ومـا يبدو حينا من تعارض هو من سوء الفهم لا من طبيعة الواقع.

لقـد ظـل النبـي ﷺ ثلاثًا وعشـرين سـنة، اختلفـت فيها الأحوال، وتباين الأفراد، وتشعبت القضايا. ووضعُ كل حديث بـإزاء المقصود منه، أو معرفة النطاق الذي يصح فيه، هو عمل الفقهاء، وهو عمل لا مناص منه وإلا حرفنا الكلم عن مواضعه.

والـذي أراه أن السـنة ركـن الإسـلام بعـد القـرآن الكريم، ولكـن لا يشـتغل بتفاصيلها إلا الفقهاء ومـن يعنيهم الأمر من الولاة والقضاة والدعاة والمتخصصين في أي مجال يحتاج إلى الإلمام بهذه التفاصيل، أما رجل الشـارع أو الشـخص العادي، فإن أربعين حديثًا تكفيه وتغنيه.

والسـنة العملية التي وردت بطريق القطع تفسـير مستيقن للقرآن نفسـه، وعلى ضوئهـا نصلي الخمـس، ونحج البيت، ونعـرف الكيفيـات لهذه الفـروض من السـنة العملية، وهناك أحكام كثيرة فـي الفروع أجمع عليها الفقهاء، ولا يخرج على





هــذا الإِجماع مؤمن، أما مــا كان موضع خلاف، فالأمر فيه على اتســاع، يعتنق أي مسلم ما شاء من وجهات النظر العلمية دون حرج.

ولقد قال الفقهاء: السنة المشهورة تخصص عموم القرآن، وهذا التخصيص أو التقييد هو تفسير ممن تلقى الوحي الإِلهي، ومن أَحَقُّ من نبي القرآن بتفسيره؟ ولا يســمى معارضة للقرآن الكريم، بل هو بيان وتوضيح.

أما أخبار الآحاد، التي لم تبلغ حد التواتر، فهي عند الجمهور لا تفيد إلا الظن العلمي، وشــذ بعـض الحنابلة فروى عن إمامه أنها تفيد القطع، وهذا فهم مردود.

إن أحاديث الآحاد يعمل بها في الفروع، أما العقيدة فتحتاج إلى نص مستيقن ثابت بالتواتر.

والقــرآن أصــل الإِســلام، والســنة فرع يجــيء بعــده، بيانًا وتفسيرًا.

إنه لا ســنة بغير فقــه، وإن عرض الحديــث النبوي دون فقه صالح لون مــن تحريف الكلام عن مواضعه، ومصاب الإِســلام شديد من هذا التصرف.

وإن الأســاس العتيد للعلوم الدينية هو النقل عن الله ورسوله فهي تســتمد مكانتها من قيمة النقــل، وصحة المعنى، ولذلك قال العلماء: الإِسناد من الدين، ولولاه لقال من شاء ما شاء!.

وقيم الثبوت تتفاوت تفاوتًا شاسعًا بين التواتر المقطوع به وأخبــار الآحــاد المعتلة التي يرفضها البعـض، أو التي يترخص





البعض في قبولها عندما تتعلق بالفضائل، أو بمناقب الرجال.

على أن ما استقر عليه الأمر في دوائر التشريع، أن الأحاديث الضعيفة ليست مصدرًا لحكم شرعي عملي، وأن القضاة والمفتين في حل من التقيد بها دون تكبر ولا تأثيم.

●●●

٧- الصلاة:

كما يحتاج الجسم الناشط إلى وجبات غنية تمده بالحرارة، وتجدد ما بلي من خلاياه وتحفظ عليه عافيته، تحتاج النفس الإنسانية إلى وجبات أخرى تعينها على التحليق وتمنعها من الإسفاف، وتستنقذها من أمواج الفتنة والذهول وشتى الأهواء والأقذاء!.

وأفضل ما يطلب الإنسان هدى يقيه الانحراف، ورضا يقيه الطرد، ونعمة تقر بها عينه، وسدادًا يقيه الحيرة، والظفر بذلك سعادة الدنيا والآخرة.

إن الصلاة تورث الخشوع والأدب والخشية، وهي معراج روحي يرقى بصاحبه إلى الملأ الأعلى، إنها - إن أقيمت كما شرع الله - توبة كاملة تمحو الخطايا محوًا، وتطهر النفس. قال عليه الصلاة والسلام: (أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهرًا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، ما تقولون أيبقي ذلك من درنه شيئًا؟. قالوا: لا يبقي ذلك من درنه - قذاه - شيئًا. قال: فذلك مثل الصوات الخمس، يمحو الله بها الخطايا) [مسند أحمد].



وإذا كانت الصلاة من أركان الإسـلام الخمسة، فإن النظافة تعد مـن الأركان لأنها تمهيد لا مناص منه للصلاة، ونسـتطيع جعل الوضوء رمزًا لفلسـفة الإسلام في تكريم الجسم الإنساني وإعزازه، إذ إن هناك عقائد تعلن حربًا على هذا الجسم.

والإسلام لم يكتف بالطهارات التي قررها، بل ضم إلى ذلك التزيـن الذي يصلح الهيئة، ويجلب الاحترام، والتجمل شـيء غيـر التبرج، فالتبرج إهاجة الغرائز السـاكنة بصورة تميل بها نحـو الإثـم، أما التجمل فهو إبـراز الجمال الطبيعـي في إطاره العادي المعتدل، وجمال الأنوثة غير جمال الرجولة، والإسلام يرفض تشـبه الجنسـين بالآخـر، وليس معنى نهـي المرأة عن التبرج أن تكون دميمة المظهر أو كريهة الرائحة، كلا، فلتكن حسـنة الهيئـة مع الاحتشـام، ولتكن طيبة الرائحـة دون تعطر صارخ.

ولقد أضاف الله الزينة إلى نفسه:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَـةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ (الأعراف: ٣٢)

إن الله يريد وضاءتنا، فَلِمَ نريد نحن الدمامة والرثاثة؟!

والوضوء ليس شـرطًا في ذكر الله سبحانه وتعالى، فالمسلم يسـتطيع أن يذكـر ربـه في أوقاتـه كلهـا، جُنُبًا أو طاهـرًا، بل يسـتطيع أن يقـرأ القـرآن الكريـم - فيمـا أرى - وتسـتطيع الحائض ذلك، والمؤمن لا ينجـس أبدًا، والجنابة عارض لبدنه








يمكن الخلاص منه على عجل.

● والمـرء عندما يتأمل في كلمـات الأذان يجدها خلاصات للرسالة الإسـلامية، ووصفًا لله قائمًا على الحق المطلق، الحق الذي لا يتغير بين مشرق ومغرب.

إن الأذان يوقظ فؤادي، ويعرفني بربي على نحو ينسجم مع الفطرة السـليمة. وإن الكون كله، لا الأرض وحدها، يتجاوب مـع أصوات المؤذنيـن وهي تهيب بالبشـر أن يهرعوا لمرضاة الله.

● وإن خطبة الجمعة من شـعائر الإسلام الكبرى، ومعانيها تنساب إلى النفوس من لحظات انعطاف إلى الله وتقبل لوصاياه، ومن ثم كان موضوعها جليل الأثر كبير الخطر. ولذلك:

١- يحسـن أن يكون لخطبة الجمعـة موضوع واحد واضح غير متشـعب الأطراف ولا متعدد القضايا، فهي ليسـت درسًـا نظريًا بقدر ما هي حقيقة تشرح وتغرس.

٢- عناصـر الخطبـة يجب أن يسـلم أحدها إلـى الآخر في تسلسل منطقي مقبول.

٣- ولحمتها وسداها يجب أن يكونا من الحقائق المقبولة، ولا يليق البتة أن تتضمن الخطبة الأخبار الواهية، بله الموضوعة.

٤- ولا يجـوز أن تتعـرض الخطبة للأمـور الخلافية، ولا أن تكون تعصبًا لوجهة نظر إسلامية محدودة، فإن المسجد يجمع ولا يفـرق، ومما يزري بالخطيب ويضع موعظته، أن يكون في واد والناس والزمان والمكان في واد آخر.





وأكره أن تكون الخطبة تحرشًا شخصيًا أو تهجمًا سياسيًا، أو تعليقًا مقصورًا على الأحداث العابرة، فإن المسـاجد لم تبن لشيء من هذا، وتشريع الخطبة، كما جاء في القرآن الكريم:

﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ (الجمعة : ٩)

والذكر المقصود ربط الناس بربهم من خلال النظر في آفاق الكون وشئون الناس على نحو ما وضح القرآن الكريم:

﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾

(فصلت : ٥٣)

٥- وتطويـل الخطبـة غيـر سـائع ولا مشـروع. ولقد قال عمار بن ياسـر: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: (إن طول صلاة الرجـل وقصر خطبته مئنة (علامة) من فقهه، فأقصِروا الخطبة وأطيلوا الصلاة) [صحيح : مسلم].

٦- وهناك طائفة من الأحاديث تسوق الأجزية الكبيرة على الأعمـال الصغيـرة، ولا يجوز للخطيـب أن يضمن خطبته هذه الأحاديث سـردًا مجردًا، فيحدث فوضى فـي ميدان التكاليف الشـرعية، كما أن الإسـهاب والتفصيل في ذكر الأجزية الغيبة لا لزوم له، ويكتفي بالإلماح إلى ما جاء في القرآن والسـنة عن ذلـك دون تطويل وتعمق. فالكلام عـن عالم الغيب لا يقبل إلا من المعصوم وحده، والمسـلمون مجمعون على أن الشريعة لا منبع لها إلا الكتاب والسنة.





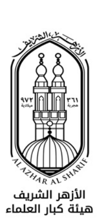

٧- ومن الخير أن تتضمن خطبة الجمعة أحيانًا شيئًا من أمجاد المسلمين الأولين الثقافية والسياسية تنويها بالحضارة اليانعة التي أقامها الإسلام في العالم، مع الإشارة إلى أن ينابيع هذه الحضارة تفجرت من الحركة العقلية التي أحدثها القرآن الكريم، واليقظة الإنسانية التي صنعها الرسول ﷺ ، ويكون الغرض من هذه الخطب - على اختلاف موضوعاتها - أن ترجع إلى المسلمين ثقتهم بأنفسهم ورسالتهم العالية.

٨- وطبيعي أن تتعرض الخطبة لذود المفاسد النفسية للفلسفات الأجنبية والنزعات الإلحادية التي تسربت إلى الأمة الإسلامية، وذلك بعرض الحقائق الإيجابية في الإسلام، والرد على الشبهات دون عناية بذكر مصدرها؛ لأن المهم هو حماية التراث الروحي والعلمي، وليس المهم تجريح الآخرين وإلحاق الهزائم بهم.

٩- وقبل أن يواجه الخطيب الجمهور ينبغي أن تكون في ذهنه صورة بينة لما يريد أن يقوله، بل يجب أن يراجع نفسه قبل الكلام، ليطمئن اطمئنانًا كاملًا إلى صحة القضايا التي سوف يعرضها، وإلى سلامة آثارها النفسية والاجتماعية، فالتحضير المتقن دلالة احترام المرء لنفسه ولسامعيه، والمهارة في الارتجال لا تغني عن حسن التحضير.

١٠- والإيجاز في الخطبة أعون على تثبيت الحقائق، وجمع المشاعر والأفكار حول ما يراد بثه من تعاليم.





٨- الزكاة:

إن الزكاة طهارة نفسـية واجتماعية قبل أن تكون مساعدات مادية: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة : ١٠٣)

وإن الدين لا يُبغِّض للمرء نفسَه ولا يزهده في مصالحها، ولكنه يرفض أن يتحول ذلك إلى تجاهل للآخرين، وفقدان للشعور بوجودهم وحقوقهم، ولعل ذلك هو الفارق بين الإنسان والحيوان!.

لقد جاء الإسلام فخلع الفرد من هذه الأثرة، وجعله جزءًا من كيان مشترك أو جسد واحد، وأفهمه أن الإيمان يقتضى محبة الآخرين والرحمة بهم واحترام مصالحهم، وقد يقتضي الإيثارَ والعطاء المبرأ من المن.. ومن قديم والناس يكرهون استخراج المال من خزائنهم، ويودون لو بقى لهم وحدهم، بيد أن الإسلام يقاوم هذه الرغبة، ويكسر حدتها، وإذا احتاج الأمر إلى مقاتلة أصحابها أعلن عليهم الحرب حتى يفيئوا إلى أمر الله، وهكذا فعل الخليفة الأول، فهل يتكرر ما فعل؟.

إن محنة الدين في المجتمعات التي تحولت إلى الماركسية أتت من ذلك التفاوت الظالم، والثوار ما كانوا حاقدين على الوجود الإلهي قدر ما كانوا ضائقين ببطنة الكهان ومغبة البائسين.

يجب أن نضمن للكادح ثمن عرقه، وجزاء سعيه.







وأنا أختار في الأرض الزراعية المستأجرة أن تكون الزكاة بين المالك والمستأجر، كما أختار القول بأن الزكاة في جميع ما تخرجه الأرض من حبوب وفواكه وثمار، فالزكاة ليست عبادة محصنة يستحيل فيها التغيير، بل هي عبادة مربوطة بحكمة، وتترتب عليها مصالح متجددة.

ويجب أن تقوم على عجل لجنة من الفقهاء والاقتصاديين، تترجم المصطلحات القديمة إلى مفاهيمها الحديثة، تبين كم تساوي عشرون مثقالًا من ذهب، ومئتا درهم من الفضة، وخمسة أوسق من الحبوب، وماذا يتركه التضخم من آثار في قيمة الأنصبة؟.

لقد أقام الإسلام شعار (في سبيل الله) ليخلع الإنسان من أثرته، ويدفعه إلى ربه، فالإنفاق ينبغي أن يكون في سبيل الله، والجهاد ينبغي أن يكون في سبيل الله، والسعي في هذه الدنيا ينبغي أن يكون في سبيل الله، بل المحيا والممات جميعًا في سبيل الله.

● إن الإسلام منح الفرد حق التملك مادام السبب مشروعًا، وإن ازدهار العمران وتوقد الملكات، وتضاعف الإنتاج إنما يجيء مع سباق الحوافز الخاصة، ورغبة البشر في الكسب، والمزيد من الكسب، لأنفسهم وأولادهم.

وقد أقر الإسلام حرية التملك، وإن كان قد أثقلها بالقيود التي تمنع سطوة الأنانية، وطغيان الاستغناء.

ومن الصعب فصل الاقتصاد عن السياسة، ومن هنا فإنك







حيــث تجد الخلل السياســي تجـد الإثراء الحرام، واسـتغلال السـلطة إلى أبعد الأماد، وسـوق المغانم إلى الأقارب والأتباع والحواشي.

وإن العمل هو المصدر الأساسي للثروة، وعلى الدولة أن تمهد ميادينه لكل قادر، وأن تحارب البطالة بكل ما لديها من قوة.

وإن المجتمع الإسـلامي يجب أن يعاد تشكيله وفق القانون الإلهي الفذ ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾ (التوبة : ١٠٥)

أما عوائد المترفين والقاعدين فلتطوح معهم إلى الجحيم.

وإن الـدول الناميــة - المقترضــة - تتدحرج من سـيء إلى أسـوأ، وها هـي قد أوقفت برامـج التنمية وعجزت عن سـداد الأقساط، والفوائد المقررة، ويوشك أغلبها أن يعلن إفلاسه.

أمــا الدول الدائنة فقــد كانت فرحة بقدرتهــا على الإقراض وفرصتها في أكل الربا، ثم ذاقت وبال أمرها بعد تدهور أحوال المدين وظهور عجزه.

حتى إعــادة جدولة الديون لا تحقق خيــرًا، فإن هذه الإعادة تؤدى إلى خسارة ٨٠٪ من القيمة الأصلية للدين.

إن الاحتــكار جريمة خلقيــة واجتماعية، وهــو أقصر طريق لأكل أموال الناس بالباطل، وإشباع النهم الفردي من حاجة ذوى الحاجات.

ولعل من أدهى العلل التي وفدت بها الحضارة الحديثة حرق بعــض المحاصيــل الزراعية حتى لا يرخُصَ السـعر الذي حدده الباعة، والكفر كالجنون.. فنون.





والذي نراه إبقاء سوق العرض والطلب، وإطلاق المنافسة الحرة بين الأفراد والشركات، وتدخل الدولة بالتسعير الجبري إذا أحست سوء الاستغلال.

ولقد فرض الله الزكاة تطهيرًا للنفس من رذيلة الشح، ومساعدة للفقراء على رد الضوائق والأزمات، وإسهامًا في الدفاع عن العقيدة، إلخ، وحدد القرآن الكريم مصارف الزكاة في ثمانية أصناف لا يجوز أن تعدوها إلى غيرها، أما دائرة الضريبة، فهي أوسع مصادر ومصارف، ومن حصيلة الضرائب ينهض الكيان السياسي والعسكري والحضاري للأمة، ومنها ينفق الجهاز الإداري.

ولقد حدد الإسلام نسب الزكاة، ومستحقيها، لكن النشاط الإسلامي العالمي الممتدد يفرض على المسلمين بذلًا لا يقف عند حد، كي يبلغوا رسالة الله، ويحسنوا الدفاع عنها:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾
(التوبة : ١١١)

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: ٤١)

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾
(البقرة: ٢١٦)

ويظهر أن كلمة (النفقة) تشمل الصدقات المفروضة والنافلة، وتشمل أنواع البذل التي يفرضها العمل لله في شتى





الميادين. وربما تمر بالمسـلمين أيـام يكلفون فيها بإنفاق ما يزيد على حاجتهم الخاصة، لا يسبقون شيئًا.

●●●

٩- الصوم:

إن شـريعة الصوم هي حرمان الواجد، ابتغاء ما عند الله، وإن ربـط التعب بأجر الآخـرة هو ما عناه النبـي ﷺ في قوله: «من صام رمضان إيمانًا واحتسـابًا غفر له مـا تقدم من ذنبه» (متفق عليه).

إن كلمتـي (إيمانًـا واحتسـابًا) تعنيان جهدًا لا يُسـتعجل أجـره، ولا يُطلـب اليوم ثمنـه؛ لأن باذله قـرر أن يجعله ضمن مدخراته عند ربه. نازلًا عند قوله:

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾

(النبأ: ٣٩)

فالصـوم يرد النفس إلى القليل الكافي، ويصدها عن الكثير المؤذي. ولعل أهم ثمرات الصوم الحق إيتاء القدرة على الحياة مع الحرمان في صورة ما.

إن الإنسان الذي يملك شهواته قوة خطيرة، والشعب الذي يملك شـهواته قوة أخطـر، فهل نعقل؟!. فلا يكـون الامتناع المؤقت وسيلة إلى التهام مقادير أكبر كما يفعل سواد الناس!.

أعتقـد أن أسـباب غلـب العـرب فـي الفتـوح الأولـى قلة الشـهوات التي يخضعـون لها، أو قلة العـادات التي تُعجز عن العمل إن لم تتوافر. يضع الواحد منهم تمرات في جيبه وينطلق



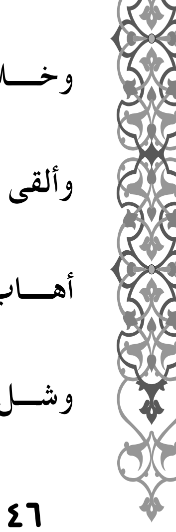


إلى الميدان، أما جنود فارس والروم فإن العربات المشحونة بالأطعمة كانت وراءهم، وإلا توقفوا.

وقد اعتمد غاندي على هذا السلاح عندما حارب بريطانيا العظمى.

كان الإنتاج البريطاني يعتمد على الاستهلاك الهندي. وقرر غاندي أن ينتصر بتدريب قومه على الاستغناء، نلبس الخيش ولا نلبس منسوجات (مانشيستر)، نأكل الطعام بدون الملح ما دامت الدولة تحتكره، نركب أرجلنا ولا نركب سياراتهم. وفي ذلك قال الشاعر القروي سليم الخوري (١٨٨٧ - ١٩٨٤م):

لقد صام هندي فجوّع دولة
وما ضار علجا صومُ مليون مسلم
تجشم عن أوطانه صوم عامد
فجشم أوطان العدا صوم مرغم
وخلا بلاد الظالمين بلادُه
تضيق بجيش العاطلين العرمرم
وألقى على (مانشيستر) ظل رهبة
تضج بأشباح الشقاء المخيم
أهاب بآلات الحديد فعُطلت
مصانع كانت جنة المتنعم
وشل دواليب الرخاء بصرخة
أدارت دواليب القضاء المحتم





كساها نسيج العنكبوت وكم كست
جسوم البرايا بالقشيب المنمنم
تهدمها أسرار نفس عجيبة
تجول بذاك الهيكل المتهدم
فيالك من عارٍ، لديه تصاغرت
جبابر أبدان، وعقل ودرهم !
وراحت ملوك المال تشكو ببابه
من الفقر يا للظالم المتظلم !

وأحفظ للشيخ الكبير محمد الخضر حسين (١٢٩٣ - ١٣٧٧ هـ/ ١٨٧٦ - ١٩٥٨م) - شيخ الأزهر الأسبق - كلمة عظيمة : (لست أنا الذي يُهدَّد، إن كوبا من اللبن يكفيني أربعًا وعشرين ساعة) !

ومن قبله قال الشيخ عبدالمجيد سليم (١٢٩٩ - ١٣٧٣هـ/ ١٨٨٢ - ١٩٥٤م) - وقد حذروه من غضب جهات عالية - : (أيمنعني ذاك من التردد بين بيتي والمسجد؟ قالوا: لا. قال: لا خطر إذن! ليس هناك ما يُخاف) !

ولقد خط هذا النهج علي بن أبي طالب عندما قال: (استغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره) !.

على أن هناك حقيقة مؤسفة، هي الصُّوَّام قلة وإن امتنع عن الطعام كثيرون !







١٠- الحج:

إن مناسك الحج تنمية لعواطف المسلمين نحو ربهم ودينهم وماضيهم وحاضرهم، وهو من الناحية الروحية إذكاء مشاعر، وتجديد عاطفة، ومن الناحية الاجتماعية فرصة ثمينة للتوجهات الجامعة التي تكفل مصلحة المسلمين العليا. فهل يسمع المسلمون شيئًا ذا بال عندما يحجون هذه الأيام؟!

●●●

١١- مقاصد الشريعة:

إن الدّين الذي أعتنقه قام على معجزة عقلية، تعرّفني أن الله واحد في الأرض والسماء لأنه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢)

وفي القرآن الكريم مئات الآيات التي تتحدث عن العقل ووظائفه والأساليب الصحيحة لاستدلاله، وبعده عن الأوهام والظنون!.

وقد أحصيت في مقال لي ست عشرة آية تنوه بأولي الألباب، وترى أنهم الناس حقًا!. وهل الإنسان إلا عقله؟.

ما أصدق قول المتنبي (٣٠٢ - ٣٥٤هـ/ ٩١٥ - ٩٦٥م):

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى إلى شرف من الإنسان!

والعقل الصحيح هو الذي يقرأ آيات الله في الكون كما يقرؤها في المصحف.

إن العقل الإسلامي تحيط به غشاوات سميكة، ولابد من



تمزيق هذه الغشاوات إن أردنا الحياة. ولابد من مطاردة الغوغاء الذين فرضوا أنفســهم على الثقافـة الدينية وهم لا يصلحون لا لدنيا ولا لدين.

إن الإِسـلام يريـد أولًا عقلًا سـليمًا وفكرًا مسـتقيمًا. وإن صحـة النظر إلى الأمور، ودقة الحكم على الأشـياء تجيء أولًا، ثم تجيء الطيبة والنية الحسنة بعد ذلك.

إني لم أقرأ كتابًا منسـوبًا إلى السـماء احتفى بالنظر العقلي وخط على ضوئه معالم الإِيمان مثلما فعل القرآن الكريم.

إن ديننا قوامه العقل، ومعجزته إنسانية خالدة. ولعمري ما وجد العقل منذ بدء الخليقة إلى يوم الناس هذا كتابًا يعترف به ويجلو بريقه ويمهد طريقه مثل هذا الكتاب الجليل!.

كان الديـن عنـد كثيريـن ينتظم مـع أدب الخيـال وأحلام الوجدان وهيام الشـعر وتهاويل الفن حتى جاء القرآن الكريم، فـإذا الديـن علـم يعتمد علـى الحقيقـة، وقضايـا تعتمد على البرهان، سـواء اتصلت بعالم الغيب أو عالم الشـهادة، أو كما يعبِّرون في عصرنا بالمادة وما وراء المادة.

لا يوجد كتـاب بنى الإِيمان على البرهان إلا هذا القرآن. إن التفكير فريضة إسـلامية - كما يقول الأسـتاذ العقاد (١٣٠٦ - ١٣٨٤هـ / ١٨٨٩ - ١٩٦٤م).

وأُولـو الألبـاب هم الذيـن يتفكرون فـي خلـق العالم. ولا يجادلـون في اكتنـاه الذات العليا، ولا يخوضـون فيما يصعب دركه من شـئونها. وكما قيل: ما يعز على العقل فهمه شـيء، وما يحكم العقل باستحالته شيء آخر!.






إن أثر القرآن الكريم في الفكر الإنساني عميق، إنه هو الذي أقام الإيمان على المنطق ورفع راية العقل!. لقد كرّم الله الإنسان بالعقل، فكل ما أضاع العقل حرام. وكل ما ثبت تغييبه للعقل، أو ما أفقد المرء اتزانه الفكري فهو محرم بيقين!.

وجمهور الأطباء والمربين والساسة والقواد العسكريين يكافحون المسكرات في العهود الأخيرة، وأظن أنه لا يمنع من عقاب شاربها إلا الخوف من التشبه بالإسلام!.

إن الفهم الأعوج للحضارة والتقليد الأعمى للغربيين من وراء هذا الانحطاط المبين.

ولقد جاء الإسلام فجعل النفس الإنسانية أقدس من الكعبة المشرفة ومن الأشهر الحرم. قال ﷺ: «ألا وإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. قال: «اللهم اشهد – ثلاثًا – ويلكم، لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض». (البخاري).

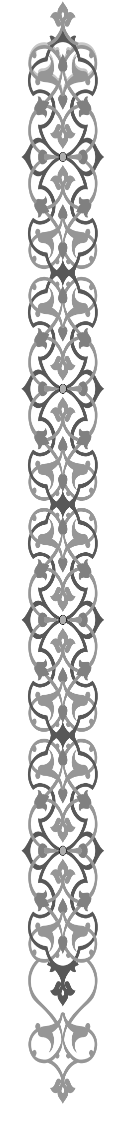
ونظر عبد الله بن عمر إلى الكعبة وقال: ما أطيبك وأطيب ريحك، وما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك، حرمة دمه وماله وعرضه!.

وفي الحديث كذلك: (قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا. ولو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله في النار). (الطبراني في الأوسط).

وبعد النفس يجيء المال، وهو قوام الحياة الشخصية والعامة، فما من أحد يستغني عن المال ليطعم ويلبس ويقوت







عيالــه ويصـــون مروءته، وما من أمة تســتغني عن المال لتحمي كيانها وتدبر مصالحها، وتستبقي ذاتها.

●●●

١٢- العمران الإنساني:

إن الحياة الصحيحة في الإِســلام أن تعتبر الدنيا لك ولست لها.

إن الله لم يخلق الإِنسان ليجوع ويعرى ويذل ويخزى. كلا، إن له حقوقه المصونة، لا في الضرورات فقط، ولكن في المتاع والزينة!. لكن على شرط أن يعرف المنعم ويشكره.

وحق على أهل الإِيمان أن يتمكنوا في الدنيا، ويقدروا عليها بسعة العلم وقوة العمل، لأن الله لم يخلق عباده كي يعيشوا على هامش الحياة، أو يضطرب في أيديهم زمامها، وهو القائل:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ١٠)

ولهذا التمكن ثمرتان:

الأولى: حســن ارتفاق الأرض، واستغلال خيراتها في رفاهة الإِنسان ومتاعه إلى حين.

والثمــرة الثانية: تطويع ما فــي الأرض من قوى لدعم الحق، وإقامة نظام محكم لجعل الأمور تمشــي وفق ما شرع الله، وهذا ما تنصــح به الآيــة الكريمــة: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾

(الحديد: ٢٥)








لمـاذا انفتح باب الاختراع في الدين، وهو شـر؟ ولم ينفتح بـاب الاختـراع في الدنيـا، وهو خيـر؟. ولماذا كـرر الأتقياء الصلوات، والصيام، والذكر والاسـتغفار، وزادوا أرصدتهم من النوافل هنا، على حين قلّت أو صغرت الأرصدة في ميادين الأمر والنهي والجهاد المدني والعسـكري، والاحتـراف والتطواف بالبـر والبحـر، ومسـابقة الأمـم في تنمية النشـاط العمراني وتطويعه لدعم الحق ومساندة الخير؟

● ولقـد وضعـتُ لتعميـر سـيناء خطـة تقـوم على إنشـاء مسـتوطنات، أساسـها ثلاثـة رجال: إمـام مسـجد، ومهندس زراعة، وضابط جيش. وتركت اختيار الأماكن للمتخصصين.

● والأصل في الأشياء الإباحة، ولا تحريم إلا بنص قاطع.

والواقـع أن نفـرًا مـن سـوداوي المـزاج ولعـوا بالتحريم، ومنهجهم في الحكم على الأشـياء يخالف منهج نبي الإسـلام – عليـه الصلاة والسـلام – الذي مـا خُير بين أمريـن إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه.

ولم يرد حديث صحيح في تحريم الغناء على الإطلاق. فإذا كان الغنـاء مقرونًا بالمحرمـات فهو مرفوض، أما إذا برئ منها فلا شيء فيه.

والموسيقى كالغناء. وقد رأيت في السنة أن النبي ﷺ مدح صوت أبي موسـى الأشـعري – وكان حلوًا، وقد سـمعه يتغنى بالقـرآن – فقال له: «لقد أوتيـت مزمارًا من مزامير آل داود»!. ولو كان المزمار آلة رديئة ما قال له ذلك.



إن الألحـان تختلف في تأثيرها وصداها النفسـي، فإذا كان هناك مجـال لاعتراض، فعلى الأصوات الخنثة والألحان الطرية المائعة.

إن أمتنـا بحاجـة إلـى الكثير مـن الجد والقليل مـن اللهو، ولو رزقنـا بفنانين ذوي شـرف ومقدرة لأمكـن تحويل الفنون إلـى عوامل للبناء لا للهدم، ولإثارة المشـاعر النبيلة لا لإهاجة الغرائز الدنيا.

١٣- الوسطية الإسلامية:

إن الحقيقـة تضيـع بين الإفـراط والتفريط. والإسـلام دين وسـط يأمـر الأمـة بالتـزام الصـراط المسـتقيم، ويحذرها من الخطوط المنحرفة يمينا والمنحرفة يسارا.

والغلـو فـي الدين قد ينتج عـن خطأ في الفكـر أو عوج في الطبـع، وغالبًا ما يزيغ عن الحق وينتهي بالانسـلاخ عن الدين الصحيح.

هناك من يبالغ في التعبد فينحرف يمينًا بالابتداع والحماس الكاذب، وهناك من ينحرف يسارًا بالإهمال المنتهي بالجحود والتمرد.

إن الإسـلام يجعل التوسـط فضيلة في شـئون الدين والدنيا جميعا. في شئون الدنيا يكره الإسلام التبذير والتقتير، ويحب الإنفاق المعقول. وفي مجال العلم الديني رأيت أناسا متبحرين في المنقول والمعقول بهم فقه واسـع ومحفوظات كثيرة لكن قلوبهم يشينها جفاف بالغ.





ومن المحـزن أن هناك انفصالا في علومنا الدينية بين الفقه والتصوف، مما جعل المتصوفين يجنحون أحيانًا إلى الجنون، وجعل الفقهاء أحيانًا يمثلون القانون العاتي الأصم.

والوسـطية فضيلة تبـرز في توجيهات الإسـلام الاجتماعية والاقتصاديـة، ففي العلاقة بيـن الرجال والنسـاء مثلا: أبى أن تكون المرأة حبيسة البيت، أو طريدته! وأن تكون نظرة الرجل إليها نظرة السجان والصياد!

وللمجتمـع العـام حظ مـن حياة المـرأة فهي تتعلـم وتعلّم وتتـداوى وتأمر وتنهـى وتبايع، وقد تشـارك الجيش في بعض الخدمـات الطبية، وقد تقاتل إذا اقتضـى الأمر الدفاع، وينبغي أن تكون خبيرة بشئون أمتها الدينية والمدنية.

وفي الناحية الاقتصادية أقر الإسلام حق الملكية الفردية بيد أنه كبح جماحه بقيود الحلال والحرام وانتقص أطرافه بحقوق الضعفاء والمتعبين. وبذلك ضمن نجاة الشعوب من الشيوعية الكافرة والرأسمالية الجائرة.

وعندمـا ظهر الإسـلام كان اليهود معروفيـن بالحرص على الحيـاة والحـب القـوي للمـال، وطلبـه مـن الربا ومـن وجوه السحت الأخرى، وأن المسـيحيين يرون التقوى في الرهبانية والزهـد واحتقار المال، حتى قيل فـي كتبهم: لأن يلج الجمل في سم الخياط أقرب من أن يدخل الغني ملكوت السماوات!.

ولقد جاء الإسـلام فرفض المسلكين وعد المال وسيلة لما بعـده وقال النبي ﷺ: «إن هذا المال خضر حلو، ونعم صاحبه





المسـلم، هو لمن أعطى منه اليتيم والمسـكين وابن السبيل، وإن مـن يأخـذه بغير حـق كمن يأكل ولا يشـبع ويكـون عليه شهيدا يوم القيامة». (رواه أحمد).

إن الإسـلام عدّ العمل للحياة عبادة وعـد المال قوام الحياة وسياجها.

١٤. الفقه الإسلامي:

إن كلمـة الفقه فـي ثقافتنا التقليدية تشـبه كلمة الفكر في عصرنا الحاضر فإذا وصـف أحد الناس بأنه مفكر فمعنى ذلك أن في ذكائه حدة وفي بحثه عمقًا، وفي نظره بعدا ويوجد ناس صالحون قليلو الفقه لعلهم المعنيون بقول القائل: مِن أصحابي مَن أرجو دعوته وأرفض شـهادته!. والواقع أن هناك متدينين لا تقبـل فتاواهم ولا أحكامهم كبعـض الخوارج وبعض الصوفية، وبعض المحدثين، فإنهم مع نقاء سـرائرهم لم يرزقوا الحكمة والوعي ولم يحسنوا العمل بما يعلمون لأنهم حُرموا الفقه!.

ولقـد تنـاول الفقه الإسـلامي شـئون الحياة كلهـا فهو مع المـرء فـي يقظتـه وفي فراشـه، وفـي خلوتـه وجلوتـه، وفي سـفره وإقامته، وفي أدق شـئون جسـده، وفي علاقتـه بالدولة وفـي علاقته بشـتى الملل والأجنـاس، إن القـرآن الكريم كما تحدث عن العقائـد والأخلاق تحدث عن العلاقات الاجتماعية والدولية ورسـم للأسـرة وللدولة جميعا ما شـاء الله من شرائع وتوجيهـات، وسـيرةُ محمـد ﷺ لم تكن سـيرة رجـل يعيش في صومعة بل كانت سـيرة عابد مجاهد يشـرف على استقامة



الأخلاق، كما يشرف في الوقت نفسه على توزيع المال في المجتمع والإمساك بدفة الحكم وشئون الحرب والسلام، أي إن صومعته كانت الدنيا كلها وإن فقهنا الإسلامي يتسع طولا وعرضا ليشمل كل شيء، إنه يتحدث في شئون العبادة من صلاة وصوم وزكاة وحج، ويتحدث في الشئون الأسرة من زواج وطلاق وحضانة ومواريث، ويتحدث في الشئون التجارية من بيع وإيجار وشركات وكفالات وحوالات. إلخ.

ويتحدث في الجنح والجنايات المتعلقة بالعرض والدم والمال، ويشرع أنواع الحدود والقصاص، ويتحدث في الشئون الدولية وفيما قد يقع من حرب أو يعقد من صلح أو هدنة أو أمان. إلخ.

وإن اختلاف وجهات النظر بين الفقهاء يعطي الساسة والقضاة فرصا كثيرة للتصرف في نطاق الشريعة على هدى من مبادئها.

ومن الموضوعات الجديرة بالدراسة الجادة: تقنين الفقه الإسلامي وصب أحكامه في مواد محدودة يتصرف القاضي على ضوئها وفي نطاقها.

ولقد قرر المسلمون بالإجماع أن العلم النظري وحده لا يكفي في إعطاء قيمة أدبية لإنسان، لابد معه من تجرد لله، وصلابة في الخلق، ونزاهة في السلوك، واستعلاء على إغراء الحكم والمال.

إن ضيق الخلق والأفق يجر على المسلمين البلايا، وما كان



الفقهـاء قديما يـرون الخلاف مثـار فتنة، بل وجدنا الشـافعي (١٥٠-٢٠٤هـ/ ٧٦٧-٨٢٠م) يقـول: (الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة) مع رفضه لكثير من آرائه!

إن هـؤلاء الأئمـة الأعلام صنعهم الإسـلام ولـم يصنعوه!. وإن التعصب المذهبـي منكور بين العامة وأرى أنه بين الفقهاء جريمة غليظة.

وإن فوضى الإفتـاء والتقاضي قديمًا هي التي انتهت بإغلاق بـاب الاجتهـاد وتجميد الفقـه كله، ومـا تبع ذلك مـن ركود وتراجع. لقد ظلمنا رسالتنا عندما جمدنا فقهنا ألف عام.

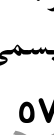
● وللإجماع. في الفقه الإسلامي. معنيان:

١- إجمـاع على حكم شـرعي مسـتفاد بطريـق القطع من كتاب الله تعالى أو من سنة رسول ﷺ.

ولمـا كانـت الأمة لا تجتمع على ضلالة فـإن الخروج على هذا الحكم يعد انفلاتا من الإسلام وخروجا على الدين.

٢- أمـا الإجمـاع الآخـر فهـو اتفاق أهـل النظـر، وأرباب الاجتهـاد على حكم ثبت بطريق القياس أو رعاية المصلحة، أو تطبيقـا للقواعد الفقهية المعتبرة، أو ما شـابه ذلك من الأدلة. ويجـب احترام هـذا الإجماع والتزام الأفراد بـه، وإذا حدث ما يسـتوجب إعـادة النظـر فيه فهو ينسـخ بإجماع آخـر من أهل الذكـر وأصحاب الحل والعقد. والخروج على هذا الإجماع قد يكون فسوقا أو عصيانًا، وربما لابسه ما يؤدي إلى الكفر.

وإجماع الأئمة الأربعة على حكمٍ ما أو على فهمٍ ما لا يسمى







إجماعا إذا كانت ثمت مذاهب صحابة أو تابعين أو مجتهدين آخرين.

ولقد سوى الفقهاء - من قديم - بين جحد العقيدة وبين إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة والخلاف العلمي يترجح بقوة الدليل لا بكثرة الأتباع ولقد رأيت لابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ / ٩٩٤ - ١٠٦٤م) آراء كان فيها أولى بالحق من غيره، وأقوم قيلا كما رأيت لابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ/ ١٢٦٣ - ١٣٢٨م) فقها ناضحا بالذكاء والتألق.

● وإن القوانين الوضعية التي جلبها الاستعمار معه لها وظيفة مقررة، وظيفة أهم من اقتياد أمة مهزومة عسكريا وسياسيا، وفرض إرادة الغالب عليها. إنها تشويه متعمد لوجه الأمة الإسلامية أو مسخ حقيقي لكيانها الروحي والعقلي والهدف الأخير لها هو الإتيان على الإسلام من القواعد!

إن القوانين الرومانية وثنية الأصل، أرضية النزعة لا علاقة لها بالسماء...

ومن السماجة التي لا قرار لها أن يستغرب أحدٌ المطالبةَ بحكم الله، وأن يعرقل سير القوافل المؤمنة وهي تنتصر لشرائع السماء.

وإن الصراع القائم الآن هو بين سماسرة الغزو الجديد ومروجي عقائده وأنظمته وبين حراس الإسلام، الأوفياء لتراثه وتاريخه وأمته.

ونحن لا نزعم أن القوانين الوضعية شر كلها، فهي من صنع





الإنسان الذي يصيب ويخطئ، ويضل ويهتدي، وربما تضمنت أمورًا جديرة بالقبول خصوصًا عندما تعمل في الميدان الإداري والدستوري ولكن ذلك لا ينسينا أمرين:

أولهمـا: أنهـا جعلت إقصاء الإسـلام وإزهـاق روحه هدفها الكبير.

والآخر: أنها تنقل إلينا قيم وأعراف أقطار جرفتها فلسفات مادية لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر وعندما نشرع في رد قوانيننا كلها إلى فقهنا الإسلام فسنجد أنفسنا أمام ينابيع دفاقة وثروات طائلة ورجال مهدوا الطريق واستحقوا التقدير. وما علينا إلا أن نحسن التأسي ونسرع المسير.

●وإن عقوبـات الحدود رادعـة تحقق الأمان. قد تكون نجد والحجاز أقل حضارة من الولايات المتحدة بيد أن ظلام الإرهاب والإجرام والتوجس والفزع لا وجود لها في هذه الأرجاء الفيحاء ما السبب؟ إقامة الحدود.

لو أن عربة محملة بالذهب مشـت من شمال اليمن إلى أول الشام ما فكر أحد في اعتراضها، إذ الناس رجلان إما خائف من الله فهو يعاف أكل السـحت، وإما خائف من شريعته فهو واقف عند حده لا يتعرض لقطع اليد ولا لقطع العنق!

ولم يقل أحد إن الجائع تقطع يده إذا سـرق ما يقوته، وإنما تقطع يد البطال المعتدي على كسب الآخرين وكدحهم، والذي يبني سـلوكه على الظلم والإفساد. إن المسلحين المتظاهرين على النهب والسـلب، المتعاونين على الإثـم والعدوان وقطع





الطريق وإشاعة الفوضى مجرمون وقتلهم حق.

ثـم إن الذي شـرع الحدود نـدب المؤمنين إلى السـتر على المنحرفين، ومنحهم فرصة عتاب لعلهم يرعوون.

● إن فقه الفروع ثانوي في رسم السلوك الإسلامي، وإن شغل العامـة به لون من الثرثـرة الدينية المعطلـة للإنتاج والمضيعة للطاقة على الجهاد وإن اتباع أي رأي لإمام ثقة خطأ أم صوابا في نظر الغير لا حرج فيه ولا يلد عداوة لأحد.

إنه إذا كان القتال الغبي لا مسـاغ له من أجل العقيدة فكيف إذا كان في سـبيل نقاب يوضع على وجـه امرأة أو غطاء يوضع على قافية الرأس، أو صورة ترسم على ورقة؟ إن البعض مستعد لحرب أشد من حرب داحس والغبراء من أجل هذه القضايا!

● إن الفقـه الإسـلامي يحتوي على كل ما يهم البشـرية من المهد إلى اللحد. والفقه الذي ورثناه مع مطالع القرن الخامس عشـر الهجري يعد أغنى فقه فـي العالم، والمهاد الذي يتحرك فوقه لا نظير له في دنيا الناس، وعلم الفقه له مكانته في الثقافة الإسـلامية لكن مكانته تجيء بعـد علوم العقيدة والأخلاق، إن أركان الديـن ومعالم الإيمان ودعائم الأخلاق ومعاقد الشـريعة هي موضع اتفاق بين خاصة المسلمين وعامتهم.

وإن الفقهاء الأربعة ـ أبا حنيفة ومالكا والشافعي وابن حنبل ـ كانوا قممًا في التقوى والمعرفة والنصح للأمة وإقصاء مشاعر الرغبـة والرهبـة مـن كل حاكم مهمـا امتدت دولتـه وعظمت سـلطته. إنهم رجـال كبار، لكنهم ليسـوا معصومين ولا فرض





أحدهم نفسـه علـى الأمة، ولا كلفنا باتبـاع واحد بعينه منهم، وإنمـا نحترمهـم لقـول الرسـول ﷺ: «ليس منا مـن لم يوقر كبيرنـا ويرحـم صغيرنـا ويعـرف لعالمنـا حقه»(أخرجه أبو يعلى).

والـذي ضخـم الخـلاف الفقهـي هو جهـل الغوغـاء الذين يقدمـون فقـه المضمضـة والاستنشـاق علـى رعايـة العهـود والأمانات! وهذا ضلال مبين.

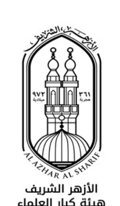
إن فقه الكتاب والسنة لا يرشح له إلا أهل النباهة والتقوى.

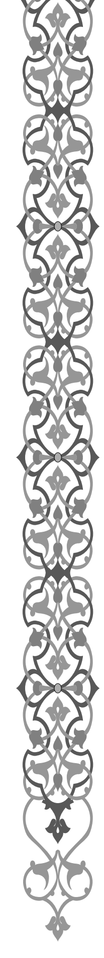
ولقد كنت أول الأمر ناقما على إغلاق باب الاجتهاد، ولكن لما انكسر الباب وتحدث في الإسلام من يعقل ومن لا يعقل بل كان صوت المرتزقة أعلى من صوت المخلصين! عذرت الذين أغلقـوا الباب وأطفئـوا الفتن، أيعني هذا أننـي لا أريد فتح هذا الباب؟ كلا

إن الاجتهـاد التشـريعي، خصوصـا فيما يمـس المعاملات الداخلية والخارجية ضـرورة دينية واجتماعية والذي أدعو إليه أن تقوم مجامع كبيرة من علماء راسخين لا يخافون في الله لومة لائـم، يحيـون الاجتهاد الجماعـي القديم، ويقومـون بعملين مهمين.

الأول: إنعـاش وإحيـاء الفقـه الدولـي لتحديـد أوضاعنـا العالميـة، وإعـادة النظـر فـي أنظمة الحكـم الداخليـة لإنقاذ المسـلمين من مسـاوئ الحكم الفـردي ومظالم المسـتبدين وإنشـاء شـرائع إدارية تضبط شـئون العمال وتوزيـع الأموال





وتصون الحقوق الخاصة والعامة.

إننـا متخلفون بضعة قرون في هذا المجـال، ولا يجوز ترك الإسلام يفترسه هذا الموت الأدبي!

أمـا العمل الثاني: فهو مراجعة المذاهب الفقهية السـائدة، وغربلة أحكامها، فمن الغرور القول بأن مذهبا انفرد بالصواب كله، ومذهبا آخر يغلب عليه التخليط.

ووجود مجمع فقهي إسـلامي عالمـي، يجتهد فيما جد من قضايا، وفيما عانينا من فرقة وضعف أمر لابد منه.

● إنني لست ظاهريا لكنني أتبع الدليل حيث كان وكثيرا ما أرفـض اجتهاداتٍ لابن حزم ولغيره من أئمة الفقه، لأن وجهات نظر أخرى بدت لي أرجح. والشيء الذي أتشبث به فعلا وتركا ما انعقد إجماعنا عليه.

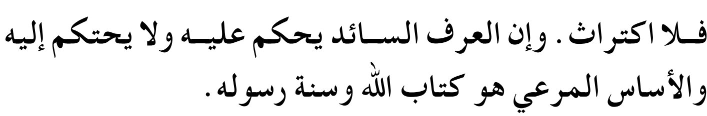
أما عرض بعض المذاهب السـائدة أو الشاذة، وعرض بعض التقاليد البدوية أو الحضرية على أنها الإسلام فهذا ظلم للإسلام وربما كان صدا عن سبيل الله.

إنه لا قداسة لاجتهاد، والخلود لكتاب الله وسنة رسوله.

وبديـه أننا نَـدَعُ اجتهادَ فقيه لاجتهاد مثلـه ولا نفتح الباب للأدعياء والدجالين ومن لا قدم له في علوم الشريعة.

ومع سـير الزمن أرى أن نعيد النظر في الاجتهادات الفقهية لنعرف بدقة نتائجها التطبيقية وغايتي خدمة الإسلام بما يناسب المرحلة التي بلغتها الإنسانية كلها في هذا العصر الخطير. إن المتواتـر يحكمني والصحيح يلزمني. أمـا المرويات الأخرى





فـلا اكتراث. وإن العرف السـائد يحكم عليـه ولا يحتكم إليه والأساس المرعي هو كتاب الله وسنة رسوله.

ونحـن نؤكـد أن النصوص على العين والـرأس وأن الخلاف الفقهـي وجهـات نظر تخضـع للموازنة والترجيح ولا قداسـة لإحداها.

ولســت من هـواة التغلغـل في الفـروع الفقهية فـإن أصول العقيدة والأخلاق والتشـريع تهمني وتسـتغرق وقتي وما أنظر فـي الأمور الفرعية إلا بمقدار ما أجمع به الشـمل وأمنع الفرقة وأقصي المتزمتين والمعلولين عن أماكن الصدارة.

لقد مرت بالمسـلمين عصور طـوال أصبح فيها فقه الفروع عمـود الدين وسـنامه وذروة أمـره! أو أصبح البحـث في صور العبادات وأشكالها هو الشغل الشاغل للخاصة والعامة.

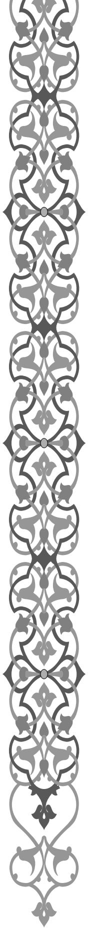
وربمـا اختلف الفقهاء: أيقـرأ المصلي وراء إمامه أم لا؟ بيد أنهـم متفقون على أن الخشـوع روح الصـلاة، وأن من فقد هذا الخشوع فقدت صلاته قيمتها سواء قرأ أو صمت.

إنني أميل إلى إغـلاق باب الاجتهاد في فقه العبادات وإبقاء حـق الاختيار أو ما يسـمى بالاجتهاد الانتقائـي، نأخذ ما تدعو إليـه الحاجـة وندع ما عداه مـن الثروة الطائلة التـي آلت إلينا، إن الخطـأ الفقهـي مأجور، أما الخطأ الخلقي فهـو إثم، وتربية اللحية من سنن الفطرة، وتربية النفس من أركان الإيمان.







١٥.التصوف

إن التراث الصوفي يتضمن أحيانا قضايا في ذروة الشرف والسناء، كما يتضمن أحيانا أخرى شطحات لا وزن لها، بل ينبغي طرحها والنأي عنها.

ونحن نحذر من التصوف الفلسفي الذي نَقل عن الهنود واليونان الأقدمين عقائد الحلول ووحدة الوجود ومشى وراء تهويمات عاطفية بعيدة عن هدايات الإِسلام. كما أن هناك تصوفا ضاهى الرهبانية اليهودية والنصرانية، وأعلن حربًا على الجسد لا عقل فيها ولا جدوى منها.

لكن هناك تصوفا نبت في أكناف الإيمان والإسلام والإِنسان ونما على أغذية جيدة من العلم والعمل واستطاع أن يلون المشاعر الإِنسانية بصدق العبودية ودفعها إلى التفاني في مرضاة الله والحس الدقيق بوجوده وشهوده وجعل أصحابه يسعدون بمشاعرهم الباطنة، وإن كانت أحوالهم نكدة فيما يرى الناس، حتى يقول قائلهم: حبسي خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة!

هذا التصوف يحول المعرفة النظرية المجردة إلى عاطفة قلبية مشبوبة، فالتكاليف تؤدى برضا واستحلاء، لا بتعب ومعاناة، والمعاصي تترك باستغناء واستعلاء. ولقد أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ: بقوله: «ذاق حلاوة الإِيمان من رضي بالله ربا وبالإِسلام دينًا وبمحمد نبيا ورسولا» (صحيح مسلم).

وفي قراءاتي وتجاربي رأيت أناسا على حظ من علوم



الشــريعة وأحكام الفقه، بيــد أن قلوبهم خاوية من الإحســاس اللطيــف والرغبة في التســامي، والحب للآخريــن. كما رأيت أناسا في مشــاعرهم لطف، وفي مسالكهم إيثار، لكن يشينهم قصور علمي وفقه قليل في شرائع الإسلام.

كلا الصنفيــن مســيء ومقصّــر! والواقع أن العالــم الذي لا قلــب له كالشــاعر الذي لا وعــي له، بلاء على الإســلام وعائق عــن الانتفاع به فالدين عقل وعاطفة، وعلم وأدب ونظر صائب وبصيرة نيرة، ومن ســوء حظ الثقافة الإســلامية فقهاء لا دراية لهــم بعلم القلوب ونهج التربيــة، ومتصوفون صفر الأيدي من قوانين الشــريعة وضوابطها. والراسخون في العلم سالمون من هذه الآفات، ومن يقرأ لابن تيمية وابن القيم (٦٩١ - ٧٥١هـ / ١٢٩٢ - ١٣٥٠م) والغزالــي وابن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧هـ/ ١١١٤ - ١٢٠١م) وغيرهــم يــرى رجالا علــى درجة رفيعة من جيشان المشاعر والاستبصار العقلي.

وقد أشــرف أبو حامــد الغزالــي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ/ـ١١٥٨ - ١١١١م) علــى تفكير أرســطو وأفلاطــون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق. م) واســتبان عثراته وكَشَــفَ ما اعوج منه، ومع هذا الاستعلاء العقلــي فهو يتحــدث عن اســتدامته لذكر الله حتى إذا ســكت لسانه ظل الفؤاد على حاله يلهج ويردد ولا ينقطع له صدى:

لقد أفدت إفادة عظيمة من ابن عطاء الله السكندري (٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩ م).

وقد شرحت جملة من حكمه في كتابي: (الجانب العاطفي






من الإسلام) . وإذا كان سعد زغلول (١٢٣٣ ـ ١٣٤٦هـ/ ١٨٥٧ ـ ١٩٢٧م) قد وصف أدب (الرافعي) (١٢٩٧ ـ ١٣٥٦هـ / ١٨٨٠ ـ ١٩٣٧م) بأنه تنزيل من التنزيل، أو قبس من نور الذكر الحكيم، فإني ـ مع إكباري للرافعي وأدبه ـ أرى أن كلمة سعد أصدق ما تكون في حكم ابن عطاء الله –رحمه الله– .

والمهم أن تتوقد روحانية الإنسان من خلال كيانه المادي وتشرئب عواطفه إلى السماء بدل أن يخلد إلى الأرض.

وإن الأبواب كلها موصدة أمام من حرم التأسي بمحمد ﷺ فهو أمان الأتقياء وسيد المربين.

لقد انشعبت المعرفة الدينية شعبتين، بعدما توحدت زمانا، فإذا متصوفة لا فقه لهم، وفقهاء لا قلوب لهم ! . ثم مضى الانحراف إلى مداه، فإذا المتصوفة يفقدون الإخلاص والتجرد ويمسون أصحاب مراسم وشيوخ طرق، وإذا الفقهاء يخلفون بعدهم مقلدين لا يذوقون حكمة نص، ولا يحسنون الاجتهاد لنازلة !

وإن الذبح عند نُصُب قائم أو ضريح يزار من الوثنية، يأباه الإسلام، وتحرم به الذبيحة.

إن الخاصة الأولى في الإسلام تعليق القلوب بالله وحده، وإسلام الوجوه إليه، والنظر إلى الأحياء والموتى على أنهم عبيد وحسْب. ولقد رأيت من زوار الأضرحة ما يثير التقزز ويوجب الإنكار. والذي أراه أن تعليم هؤلاء قد يفتقر إلى جهد شديد، ولكنه واجب، بل هو متعين، وهو أولى وأجدى من



تكفيرهم واستباحتهم!

إنهـم يكرهون التجسـيد اليهـودي، والتعديـد النصراني، وأنـواع الوثنيـات البوذيـة والهندوكيـة والعربيـة القديمـة، ويحرصـون كل الحرص على انتمائهم الإسـلامي، بل يقاتلون دونـه بكل ما أوتـوا. فلماذا يحـرص البعض علـى تكفيرهم، ويعجز عن إرشـادهم إلى المسلك؟ أكاد أقول إن الحرص على تكفيرهـم مـرض نفسـي لا يقل عن المـرض الـذي يعاني منه هؤلاء!

إن التصوف عند رجاله الأوائل طريق تربية نفسـية صالحة، وتدريب على مراقبة الله ومشـاهدته فيما نفعل ونترك. ونحن، من الكتاب والسـنة، نعرف أن المؤمن ينظر بنور الله، وقد قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ ﴾

(الحديد: ٢٨)

لكـن ليس من النظر بنـور الله أن نفتح أبواب الرجم بالغيب لكل إنسـان مهما اجتهد فـي عبادته وتقواه، ليقول في دين الله كلاما لا برهان له به إلا المعاناة الخاصة والكشف الذاتي.

إن قسـم السـمعيات في ديننا يشـمل الأمور الغيبية التي لا تُعـرف إلا عـن طريق المعصـوم، فالصراط والميـزان، وثواب القبر وعقابه، وشـئون الملأ الأعلى، وبعض الأوصاف الإلهية،





كل أولئك لا ينفرد العقل بإدراكه، ولا سبيل للبشر إليه إلا بتوقيف من الشارع نفسه. وفي باب السمعيات لا تُقبل الروايات المعتلة، ولا الأسانيد والمتون المختلقة.

●●●

١٦- نظام الحكم في الدولة الإسلامية:

إن شبكة التشريعات الإسلامية تتناول الفرد من المهد إلى اللحد، وتتناول الدولة من تنظيف الطرق إلى عقد المعاهدات، والأمة الإسلامية بهذا المنهاج أمة رسالة تعمل بها وتدعو إليها.

والدولة الإسلامية هي التي تحمي العقيدة وتقيم الشريعة. وكما يصلي الناس وراء إمامهم في المسجد، وهم يعبدون الله، ولا يعبدون هذا الإمام، كذلك يمضي الناس وراء حاكمهم لإرضاء الله وإقامة دينه لا لإعلاء الحاكم وإشباع نهمه في السلطة، أو تملقه طلبًا لدنيا، وارتقابا لمغنم.

والأمة الإسلامية هي مصدر السلطات التي تنشأ بين ظهرانيها، أعني أنها وحدها صاحبة الحق في اختيار الرجال الذين يلون أمرها، وفي محاسبتهم على ما يقومون به من أعمال، وفي ذمهم أو الثناء عليهم، وفي معاقبتهم إن أساءوا، وفي عزلهم إذا شاءت. والأمة وحدها هي التي تنتخب من تتوسم الخير على يديه، وتراه أقدر على مقاليد الحكم، وأجمع لخلال القوة والأمانة.

وإن الوثنية السياسية هي علة العلل، لأنها هي التي تحمي الوثنية الدينية، وتستبقي الخرافات والمظالم، وتمد حقها







المزعوم على حساب ما لله من حقوق.

● والخلافة نظام بعيد عن الفرعونية، والكسروية، والقيصرية. والخليفة رجل تختاره الأمة - أي أنه برضاها جاء - وتنظر في مبلغ وفائه لرسالتها ودينها فتستبقيه ما وفّى، وتستبعده إن عجز، وكما عبر ابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ/ ٩٩٤ - ١٠٦٤م): (إنه الإمام الذي تجب طاعته ما قادنا بكتاب الله وسنة رسوله، فإن زاغ عن شيء منهما منع من ذلك، وأقيم عليه الحد والحق، فإن لم يؤمن أذاه إلا بخلعه، خُلع وولي غيره).

إن الخلافة إنما تمثل، للمسلمين، أبوة روحية وثقافية مهيبة، وترمز إلى ولاء المسلمين لدينهم، واستمساكهم بوحدتهم الكبرى وأخوتهم العامة.

● وأول معالم الدولة الإسلامية الشورى. ويقول الحسن - البصري - (٢١ - ١١٠ هـ/ ٦٤٢ - ٧٢٨ م): (الناس ثلاثة: رجل رجل، ورجل نصف رجل، ورجل لا رجل! فالرجل الرجل من له رأي ومشورة، والرجل نصف الرجل من له رأي ولا مشورة له، والثالث من لا رأي له ولا مشورة).

وروى ابن بردويه عن علي بن أبي طالب: سئل رسول الله ﷺ عن العزم - يعني قوله تعالى:

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

فقال: (مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم).





إن الله -تعالى- وصف المسلمين بهذه الكلمة :
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾
(الشورى : ٣٨)

وهو قول فصل، ليس بالهزل !

إنها مبدأ مقرر، وفريضة محكمة، ولابد من إنشاء أجهزتها، وإمدادها بأنواع الخبرة، وتنظيم إشرافها على شئون الدولة، وتمكينها من تقليم أظافر الاستبداد الفردي، وضمان مصالح الجماهير.

وإن أجهزة الشورى المنظمة، المحترمة، الملزمة، هي التي تحفظ حدود الله، وهي التي تأخذ على أيدي الظلمة وتقي الأمة شرهم، وتنفذ قول الرسول الكريم : (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده) (سنن الترمذي).

ولقد أعجبتني نظم الشورى في الغرب، ورأيتها تطويرًا جيدًا لما حدث في سقيفة بني ساعدة قديمًا. فإذا أذنابٌ لولاة الجور الذين أهانوا الإسلام وأمته يقولون في صفاقة نادرة : هذا اقتباس أجنبي، والشورى عندنا لا تقيد حاكمًا !

وتأملت في أحوال القائلين فرأيت ناسًا يخزى بهم الحق، وتستخفي المروءة، يسترون عوراتهم العقلية بركعات ميتة، وتدّين شائه، فقلت في نفسي : الأوربيون في نظم الشورى قلدوا النبوة والخلافة الراشدة، وهؤلاء العرب قلدوا الحجاج (٤٠ - ٩٥هـ / ٦٦٠ - ٧١٤م) والمعتصم (١٧٩ -






٢٢٧هـ/ ٧٩٥ - ٨٤١م) وبقية السلاطين ! ما أكثر ما ظُلمت أمتنا بالمتقوِّلين الجهلة !.

إن القول بأن الشورى لا تلزم الحاكم، والقول بأن الانتخاب بدعة، والزعم بأن نقد الحاكم نقض للبيعة، وأن على الجمهور أن يصبر على غصب المال، وضرب السياط. إلخ. كل ذلك من وحي خط الانحراف وليس من معالم الصراط المستقيم.

إننـا نحـذر الأمة من العلـم الديني المغشـوش، ومن فتانين يهدمـون الحـق على حيـن يبنـي غيرهـم الباطـل، إن الداهية الدهيـاء، في عصرنـا هذا، متحدثـون عن الإسـلام لا فقه لهم فـي الديـن، ولا بصر لهم بتاريخ المسـلمين، يصورون الحكم الإسـلامي تصويـرًا منكرًا، ويقـررون أحكامًا ما أنـزل الله بها من سـلطان، يقولون: الحكم الإسـلامي لا تقيده الشورى، ولا يَسـمح بأحزاب معارضـة، ولا يعترف بمبـدأ الانتخاب، وحق الكثرة في فرض نفسها !

إنهم يدافعون عن الفرعونيـة والهرقلية، ويؤيدون الحجاج والسـفاح (١٣٢ - ١٣٦هـ/ ٧٥٠ - ٧٥٤م) وكل مفتـات علـى الأمة. إنهم ناس يسـتمدون فقههم كله من تاريخ الخلافة غير الراشـدة، والملـوك الذين حكموا الإسـلام ولم يحكمهم الإسـلام. وهم بفكرهم وسـلوكهم امتـداد لزاويـة الانحراف الثقافي والسياسـي فـي التاريخ القريب والبعيـد، وبعضهم له إخلاص الدبة التي قتلت صاحبها، وللبعض الآخر باع طويل في الارتزاق والأكل على موائد الحاكمين !.





إن الإِصــلاح في الميدان السياســي كالإِصلاح فــي الميدان العقائدي له رجاله المرموقون. وإن الاســتبداد السياسي أعمى المســلمين عن حقائق الكتاب والســنة فغشيهم من الضياع ما غشيهم.

● إنه لابد من كيان سياســي وثقافي موحد للمسلمين حتى يســتطيعوا أداء رســالتهم والقيــام بحــق الله عليهــم. فالترابط الإِســلامي ضرورة حياة في مواجهة ملل ونحل تنظر للمسلمين بكره، وتود لهم العنت، بل الضياع!.

فمــع عمق الفجــوة بيــن الهندوكية والشــيوعية والصليبية واليهودية، رأيت الكل يعالجون الوجود الإِسلامي بالقتل.

فلنُقِــم للإِســلام دولتــه الجامعــة، وليتعلم المســلمون من أخطائهم الماضية كيف يحترمون الصواب ويلتزمونه.

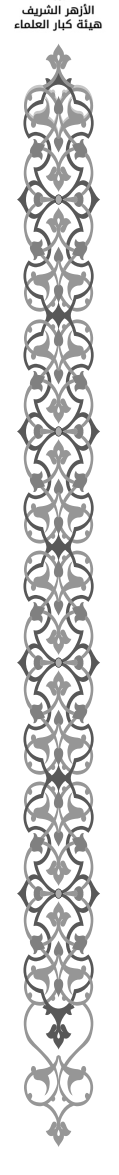
إنه لا توجد عوائق مادية تمنع قيام دولة واحدة للمسلمين، بــل إن هــذه الدولة ظلــت قائمة أكثر مــن ثلاثة عشــر قرنًا، ما يخــرج عن نطاقهــا إلا عدد محــدود، يرنو إليها ويســتظل من بعيد بحمايتها.

إن العصــر الحاضر ليس عصر الدويلات المنثورة، إنه عصر التكتلات الكبيرة القديرة على الحياة والمقاومة الذاتية!.

علــى أن عودة الدولة الإِســلامية الواحــدة تحتاج إلى تمهيد واســع، يعيد المســلمين أولًا إلى دينهم الحق، ويملأ أفئدتهم وألبابهم برســالته وعقائده وشرائعه وفضائله. كما تحتاج إلى بصر حادٍّ بأخطاء الماضي وأسباب الانهيار حتى يمكن تجنبها.







وغنـي عن البيان أن هـذه الدولة الجديدة ليست مركزية، إنها مجموعة من الأقطـار أو الولايات لها حكوماتها المحلية، ومجالس شـوراها، وضرائبها، وشـخصيتها المعنوية، يتكون منها بعد ذلك كيان الدولة الكبرى، ويوجد بعاصمتها الخليفة بسلطاته العامة.

إننـا عندما نطلب قيـام حكم الكتاب والسـنة، فنحن نرنو إلى المبادئ الشـريفة التي وعاها عهد الخلافة الراشدة، ونريد تجنب أخطاء السلاطين، والانتفاع بكل جهد إنساني للخلاص من الاستبداد والمستبدين.

●●●

١٧- حقوق الإنسان:

إن حقوق الإنسـان وحقوق الشـعوب هي الوجه المقابل في ديننا لعقيدة التوحيد. وأحسـب أن سـدنة الوثنية السياسية لا يقلون شرًا ولا أذى عن سدنة الأصنام.

لقد خلق الله الإنسـان ليكرم لا ليهان، ولتسجد له الملائكة لا ليعيش مع الحيوان!. لكن المتأمل في تاريخ البشـر يجد أن جماهير كثيفة طحنها الذل والضياع!.

من الذي أنزل بالبشر هذه الكوارث؟

وأخيرًا استطاع نفر من أولي العزم وحماة الحقيقة أن يقلموا الأظافـر الحـادة، وأن يروضـوا الطبائـع النهمـة، وأن يصنعوا دساتير حسنة ترد المظالم وتحمي الضعاف.

إن حقوق الإنسان ولدت في ديننا مع النطق بكلمة التوحيد،






فعندما نؤمن بالله الذي لا يُعبد غيره ولا يُشـرع غيره ولا يحكم غيره، عندئذ تسقط الوثنيات كلها، عقائدية كانت أو سياسية أو اجتماعية.

ونحن نلحظ أن القرآن الكريم كرر قصة فرعون مع موسى بضع عشرة مرة، ذلك لأن الفرعنة مرض نفسي شائع بين الحكام المستبدين. إن الوجه الآخر لكلمة التوحيد هو حقوق الإنسان الذي لا ينحني إلا لربه وحده...

ولقد جاء في خطبة أبي بكر الصديق: «إنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يده أوشك الله أن يعمهم بعقاب. أو أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا فلم يغيروا إلا يوشك أن يعمّهم الله بعقاب».

إنه ليس لأحد بعد رسول الله عصمة تعلو به على النقد.

● وللإنسان حقوق مالية تفرضها له الأخوة العامة بين المسلمين، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه. قال ابن حزم: (من ترك أخاه يجوع ويعرى وهو قادر على إطعامه وكسوته فقد أسلمه)!.

● وللناس حقوق ثقافية تجعل العلم بينهم مشاعًا، ميسور الأخذ.

● إنني أغبط الرجال الذين يعملون باسم (لجنة العفو الدولية) على اليقظة الخلقية والغيرة الإنسانية التي تجعلهم يرقبون الأحداث في العالم، فإذا وجدوا ظلمًا شهّروا به،





ومزقوا الأستار عنه، وألّبوا الدنيا عليه.

أشـعر كأن هؤلاء الناس ينفـذون التعاليم التـي تلقيتها من رسـولي المنصـف الرحيـم القائـل: (إذا عُملـت الخطيئة في الأرض كان مـن شـهدها فأنكرها كمن غاب عنهـا. ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها)!(رواه أبو داود).

● ولقد جعل الإسـلام المواطنين المخالفين في العقيدة في ذمته وعهده وشـرفه! يوفر لهم الحمايـة المادية والأدبية على نحـو لم تعرفه ولن تعرفه دولة أخرى. وهذا سـر بقاء الطوائف الدينيـة المخالفة بين ظهراني المسـلمين دون حرج أو عنت، على حين فنيت القلة الإسلامية أو اعتلّت تحت سلطان العقائد الأخرى.

● وإن تكوّن المذاهـب الكثيرة، واختلاف وجهات النظر، هـو أثر طبيعـي للحرية الفكريـة التي وفرها الإسـلام لأتباعه. وكذلك وجود أحزاب سياسـية تسـعى للحكم وتسـتكمل له أهبته وهي بعيدة عنه، وتقوم بقيادة المعارضة الشعبية.

● إن حريـة الفكر هي المهاد الأول والمهاد الأوحد لمعرفة الله، واستكشاف عظمته، وتقرير حقوقه، وإدراك هداياته.

وهناك فـرق بين حرية القول وحرية الشـتم، وحرية العمل وحريـة الإيـذاء. أنا أقول ما أشـاء وأفعل ما أشـاء، ولكن تقف مشـيئتي عندمـا تبـدأ حرية غيـري وحقوقه، فليـس من حرية الفكر أن ينشـد أبو نواس (١٤٦ - ١٩٨هـ/ ٧٦٣ - ٨١٤م) خمرياته ويفرض شـذوذه علـى الأدب العربي، وليس من حرية







الفكر أن ينشغل العقل الإسلامي بالبحث في ذات الله - متأثرًا بالفلسفة الإغريقية. ويترك البحث في المادة وخصائصها.

إن الحرية الفكرية عندنا انكمشت واعتلّت في العهود المتأخرة، وكادت تموت، وذلك تبعًا لاضمحلال الحرية السياسية في حياتنا العامة، وغلبة الحكم الفردي.

ومع ما أصاب الحريات إجمالًا من علل، فإن الحرية الدينية بقيت قوية وعاشت في ظلالها طوائف اليهود والنصارى والباطنية دون حرج، وما أحسب دارًا أخرى غير دار الإسلام يقع فيها هذا التسامح.

إن الارتداد عن الدين نقض متعمد متبجح للأسس التي يقوم عليها المجتمع وللدستور الذي تقوم عليه الدولة، والزعم بأن هذا المسلك سائغ زعم سخيف.

وتزداد خطورة الردة على كيان الدولة إذا علمنا أن الغزو الثقافي ظهير وعهيد للغزو العسكري! وأن أعداء العالم الإسلامي يرون محو شخصيته في الداخل بفنون من الحيل، وأن الاستسلام لذلك هو استسلام للذبح!.

إن الارتداد هو خروج على دولة الإسلام بغية النيل منها ومنه، والإتيان عليها وعليه، ومقاتلة المرتدين - والحالة هذه - دين.

ونحن نرفض كل عائق أمام حرية الفكر، ونضع كل عائق أمام حرية الهدم، أي أمام تقويض الإسلام شريعة وعقيدة.

● إن للإنسان إرادة حرة، بها كلف، وبها صح اختياره، وبها تم جزاؤه. وكون الله أعانه على ما أراد لنفسه، أو أنضج له ما





بــذر في أرضه، أو أمده بالتيار الكهربائي الذي أنار بيته لا ينفي مسئوليته التامة عما فعل!

والأساس أن هذا الذي شاء الله إضلاله، أضل نفسه أولًا، فأتم الله له مراده، كما قال:

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾

(الصف: ٥)

وكما قال في موضع آخر:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ (النساء: ١١٥)

ومن السفاهة الظن بأن الله أزاغ طالب هدى، أو أضل من اتبع سـبيل المؤمنين! فحيث يكون التكليـف الإلهي تكون الإرادة الحرة، تكون المسئولية الخلقية والجنائية في الدنيا والآخرة! فإذا انعدمت الإرادة لسبب ما فلا مسئولية البتة، وكيف يُكلف الإنسان بما لا يطيق والله -سبحانه- يقول:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾

(البقرة: ٢٨٦)

قال لي أحدهم: كيف يكون للإنسان اختيار وإرادة الله نافذة فـي خلقه جمعيا؟. قلـت: إن الله فاوت بين خلقه، فهناك فارق بيـن الجدار والحمار والإنسـان! الجدار لا يحـس، والحمار لا يعقل، والإنسـان يحس ويعقل، وله ميـزة في تكوينه تجعل له معاملـة أخرى غير معاملة الجدار والحمار! ومن العقل أن نميز





بين الأقـدار التي تحيط بنا ، والأعمال التي طولبنا بها ونُسـأل غدا عنها .

●●●

١٨- المرأة:

لقد جاء الإِسلام فكرّم الأنثى وأوصى بالبشاشة في مولدها ، ورعاهـا طفلـة وفتـاة وأمـا . وأعطاها فـي المجتمع حـق الأمر بالمعـروف والنهي عـن المنكر ، وفي العبادة حـق التردد على المسـجد مـن الفجـر إلى العشـاء ، وفـي التعليم مـا تكمل به إنسانيتها فلم يقصرها على نصيب محدود !

وكان أن عـلا شـأن المـرأة فبايعـت ، وجاهـدت ، وحققت لنفسـها ما يشـرّف نوعها ، وظفرت المسـلمة بما لم تظفر به امرأة أخرى !

● إن رؤيـة الرجال للنسـاء ممكنة في المسـجد ، وفي أثناء التـردد عليه ، لكن أي رؤية ؟ . مع غـض البصر ، وأدب النفس ، فـإِذا رأى رجل محاسـن امرأة لم يعـاود النظـر ليمتلئ ، فذلك مرفوض ، له النظرة الأولى وليس له الثانية ! .

وإن خـروج المـرأة مـن بيتهـا لا يجـوز أن يكون مـع تبرج الجاهليـة القديمـة أو الحديثـة . إن مكثهـا فيـه أولـى من هذا الخروج السيئ .

وإن للاسـتعفاف ملابس سـابغة تلف الجسد وتنفي الريبة ، وتنطق بأن هذه المرأة تقية نقية ، أما الملابس الخليعة المتبرجة التي تسـتفز الشهوات فهي تغري السفلة ، وتشتمّ منها الذئاب





رائحــة معينة. والمرأة تخرج للعمــل إن احتاجت إليه أو احتاج العمــل إليهــا، وبعــد توفير ضمانــات لصون وحماية الشــرف ومرضــات الله، ولهــا أن تقاتل في البر والبحــر كما فعلت قبل ذلك صحابيات، وما يمنعها الإسلام من غزو الفضاء إذا أتاحت لهــا مواهبها ذلك، أما تكليفها بالكــدح لتقتات، ولتوفر مهرًا للرجل المنتظر، فلا. ولا.

إن العلاقــات بين الجنســين قضية تالية لمــا هو أهم منها، وهــو غرس الإيمان الصحيح، ثم إنضــاج المعاني المبنية عليه مــن إخلاص وتوكل ورغبة ورهبة وولاء وبراء، ثم إقامة الأخلاق الاجتماعية من صدق وبر ووفاء ورحمة.

● وإن نشــاط المرأة لا يجوز أن يكون على حساب أسرتها، فحــق زوجهــا وولدها أســبق من شــتى الحقوق الأخــرى. وإن المثقفــة التي تحيا خارج بيتها ليســت خيرًا مــن الجاهلة التي تعيش داخل البيت. إنها نعمة حقيقية أن تمتد الحياة من الآباء إلى الأولاد إلى الأحفاد، وأن تكون الأســرة المؤمنة المســتقرة هي المهاد الوثير لهذا الامتداد.

إن الرجال هم حمالو الأعباء الثقالِ في قافلة الحياة السائرة، سواء كانوا أساتذة أو ساسة، أو أجراء أو باعة، فهم يعودون إلى بيوتهم فقراء إلى المشــاعر الدافئة والعــون المبذول. والبيت الــذي تكون قاعدته امرأة تنفح هــذه المعاني بيت رفيع القدر، بــل هو بيت يحتوي على أثمن الكنوز. إن وظيفة ربة البيت من أشرف الوظائف.





وقد تخرج المرأة من بيتها وراء أعمال مشروعة، بيد أن هذه الأعمال مهما سمت لا يجوز أن تجور على عملها الأول الذي لا يشركها فيها أحد.

على أن هناك ميادين للأعمال لابد أن يكثر فيها النساء، أولها الميدان الطبي، ثم ميدان التدريس لجميع المراحل دنياها وعلياها.

وأقترح أن تنشأ للنساء وظائف نصف وقت حتى تستطيع الزوجة القيام الحسن على شئون بيتها وأولادها.

ولا يجوز أن يوصد باب من أبواب المعرفة أمام النساء إلا أن يكون لأسباب فنية أو مواصفات خاصة. عندئذ ينطبق التخصيص على الرجال والنساء جميعا، فيوجه كل أحد إلى ما يناسب قدرته وخبرته.

إن الإسلام عندما يدعم مكانة المرأة يحصنها من الصور الحيوانية التي أبرزتها فيها الحضارة الحديثة، وجعلتها محورا لإشارات متصلة تزلزل العفة وتهيج الغريزة.

إنني غيور على الأعراض كأشد المتزمتين، ولكن الحفاظ على العرض لا يتم بعقلية السجان.

إن بين الإفراط والتفريط خط وسط نريد التعرف عليه والتزامه، وهو خط لا يتطابق مع وضع المرأة الإسلامية في أغلب المجتمعات، وكذلك لا يتطابق مع تقاليد الفرنجة التي تستمد من وثنية الرومان ومن فلسفة الإغريق.

إن أفلاطون، في مدينته (الفاضلة) يجعل المرأة مشاعًا بين






الآخرين، فما تكون إذن المدينة الدنسة؟!

على أن عقلية السجان هي الأخرى لا تقيم أمة راقية الفكر زاكية القلب، وتعاليم الإسلام الصحيحة هي الأمل في بناء عالم متراحم مصون.

والحشمة المطلوبة ستر الجسد كله ما عدا الوجه والكفين. ولقد قرأت نحو اثني عشر حديثا في أصح كتب السنة تشير إلى أن النساء كن يكشفن وجوههن وأيديهن أمام النبي ﷺ فما أمر واحدة منهن بتغطية شيء من ذلك، وكذلك كان أصحابه -رضوان الله عليهم- يفعلون.

ومن الناس من يحظر رؤية النساء للرجال والرجال للنساء مطلقا، واستدل لرأيه بما روي من كراهية الرسول ﷺ أن يرى نساءه عبد الله بن أم مكتوم. ويرى ابن حجر (٨٥٢ هـ/ ١٤٤٩ م). أن ذلك كان لسبب خاص، هو أن عبد الله أعمى لا يحسن تعهد ثيابه، وستر بدنه كله.

وهو تعليل اضطر إليه ابن حجر لما رأى الحديث يخالف الصحاح.

إن ابن حجر رد حديث: (أفعمياوان أنتما) بطريقته الخاصة، فتغاضى عن السند، وتأول المتن، لكن ابن العربي (٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م) رفض الحديث سندا ومتنا، وقال عن (نبهان) راوي هذا الحديث- إنه مجهول. ونبهان هذا كان خادما لأم سلمة -رضي الله عنها-، ولم يعرف بين أهل العلم بشيء، وحديثه إذا كان قد خالف ما رواه البخاري في رؤية عائشة للأحباش عند عرضهم الرياضي، فهو قد خالف واقعة







أخرى رواها مسلم أيضًا تتصل ببنت عمٍ لابن أم مكتوم أمرها النبي ﷺ أن تقضي عدتها عنده.

وإن تردد المرأة على المساجد وتزودها بالعلم سنة يساندها التواتر.

إننا نريد التزام خط إسلامي صحيح لا علاقة له بتبرج الغربيات ولا بهوان الشرقيات المسلمات وإهدار آدميتهن.

● إن الغرب قد وضع المرأة موضعا لا يرضاه دين. وإن التبرج، وإبداء الزينات الباطلة هما أساس الملابس العارية.

ولقد حشرت النساء في أعمال شتى تتيسر فيها الخلوة، وتعجز المرأة الشريفة فيها عن التصون!. بل إن الحضارة الغربية في إباحتها للرقص، واستباحتها لإرواء اللذات بسبل كثيرة، قد أرخصت قيمة الأسرة، وجعلت الزواج محدود الأثر في حماية الأعراض، وقصر كلا الزوجين على صاحبه!.

وقد نتساءل عن مكانة الدين في هذه الجاهلية السائدة؟. إن اليهودية مشغولة بتهويد فلسطين وقتل العرب، والنصرانية مشغولة بالحملات الصليبية على بلاد الإسلام، وتيسير الارتداد عنه بكل طريقة! لقد اعتبرت الحضارة البشرية السائدة في العالم اللذات الجسدية حقوقًا طبيعية، ولم تر في الاعتراف بها ما ينافي الأخلاق، ووجهت نشاطها بعد ذلك إلى الميادين العلمية، من مدنية وعسكرية، وسبقت سبقًا بعيدًا.

وعندي أن تقاليد الغرب إن وصفت بأنها لا شرف لها، فإن التقاليد الشرقية لا عقل لها، الأولى فاضحة، والأخرى فادحة،







وضحايا التقاليد المرعبة هنا وهناك كثيرة ومتشابهة.

● وفي قضية تعدد الزوجات، أريد أن أسأل أولاً:

- هل الإِسلام ابتدع التعدد، مخالفًا بذلك للأديان التي سبقته؟ إن الأديان كلها، وثنية أو سماوية أباحت التعدد، فلماذا يُسأل الإِسلام عنه ويؤاخذ به؟!

وأسأل الرجال الذين تظلهم حضارة الغرب في عدة قارات:

- ألم ينشئوا علاقات متصلة طويلة الأمد أو قصيرته بأعداد كبيرة من النساء الأخريات؟

لماذا يراد قبول المرأة الأخرى خليلة لا حليلة؟! لماذا يُرمى ابنها لقيطا، أو ينشأ زنيمًا لا ينسب لأبيه الحقيقي؟!

إنني أتهم إخواننا أهل الكتاب في الغرب بأنهم استهانوا بمقاييس الحل والحرمة، وأنهم اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله، وأنهم- من الناحية الجنسية- استباحوا الأعراض واجتاحوا الخروج، ويسروا الشذوذ، ومهدوا لمناكر ما عرفت بهذه الوفرة إلا في حضارتهم المادية الموغلة في الإِثم!.

وإن المجتمعات الأوروبية والأمريكية والاسترالية كادت تُطْبِقُ على اعتبار الناحية الجنسية حاجة جسدية لا علاقة لها بالحق والدين، وكانت لهذه الفلسفة الحيوانية نتائج رهيبة. والإِسلام يرفض هذا الفكر وآثاره كلها.

إن تعدد الزوجات جائز بشروطه المادية والأدبية، فإِذا لم تتوافر هذه الشروط فلا تعدد. والحياة الزوجية أشرف من أن تعصف بها أزمة عابرة أو غيمة عارضة، وما بين الزوجين من





وشـائج لا يرخصه إلا لئيم. وسياج الأسـرة لا يقيمه إلا الخلق الزكـي، والأسـر التي يمسـكها القانون هي أسـر علـى الورق وحسب.

● وطـلاق السـنة - كمـا صـح عن صاحـب الشـريعة - لا يطبق! وإنما المألوف هو طلاق البدعة، فقد أمضيت آثاره كلها بوحشية.

وعندما تيقظ فقيه ذكي كابن تيمية إلى أن طلاق البدعة باطل منكور الآثار تعرض لنقد شديد. ومما يثير الدهشة أن أنصار ابن تيمية في عصرنا لا يوافقونه على إبطال طلاق البدعة!.

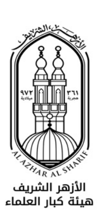
● وكيف يكون الإشـهاد على الطـلاق نافلة مع التوكيدات في قوله تعالى:

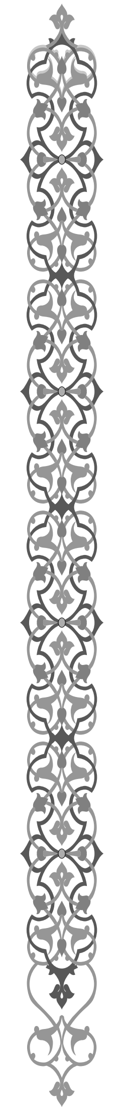
﴿ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾ (الطلاق: ٢)

ويغلـب على الظن أن التقاليد التي ضامـت المرأة من قديم لها دخـل كبير في هذا الاضطراب. إن التحقيق العلمي يوجب احترام شريعة الخلع التي أهملت، كما يوجب ضرورة الإشهاد على الطلاق.

لقـد رأيـت- فـي موضـوع المـرأة (أحاديـث موضوعـة) وأحاديث واهية صححها الغرض المدخول، وأحاديث صحيحة حرفت عن موضعها، واجتهادات اكتنفها الخطأ والصواب.







● وإن من حق الأم أن تؤخر الحمل بعد ولادتها سـنتين تتم فيهما الرضاعة، وتقوى على حمل جديد ويشترط أن يتم ذلك بموافقة الزوجين، وباتباع وسـيلة لا تضـر الأم. وهذا التنظيم فـردي لا جماعي، وهو لا يضع رقمًـا معينًا للأولاد، فما تقدمه الأقدار هدايا جديرة بالحفاوة.

وإن قصة تحديد النسـل بين المسلمين خاصة تخفي وراءها فضيحــة إنســانية تضحك وتبكي!. هــذه الفضيحة هي ضمور المواهـب البشـرية في أجيـال من الناس تمشـي فـوق مناجم الذهب، وتكسل عن أخذ ما بها!، وتعجز عن افتتاح أبوابها!.

إن حـدود الجغرافية التي رسـمت لدار الإسـلام وشـعوبها في هـذا العصر حدود وهمية مزورة لا اعتـراف بها من الناحية الدينيــة. فلكل مسـلم أن يطلب رزقه في أي مكان ينشـده بين الأطلسـي والهـادي، دون أي قيد، وخيرات الأرض الإسـلامية متاحة لكل من ينطق بشـهادة التوحيـد، لا يحجبه عنها مولده في قطر من الأقطار.

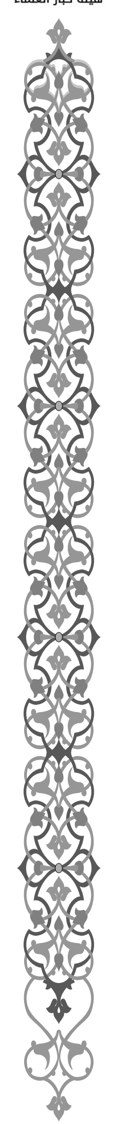
وإن الأمـوال التـي تنفق للإغراء بتحديد النسـل، لو أنفقت في تحريـك الأجهزة العقليـة المتوقفة عند هـؤلاء لكان ذلك أجدى!.

إن القوم يريدون أن يقل النسل بين المسلمين خاصة لأغراض معروفة! وإن جهودًا هائلة في الإنتاج الزراعي والصناعي تُجمد عمدًا في أسلحة الدمار الشامل!









١٩- الجهاد:

إن الجهاد الإِسلامي حق، لكن الوسائل الصحيحة ليست العنف والنزق والحماس الطفولي، بل هي خطوات مدروسة وغايات واضحة تلبي حاجات أمة كسيرة ودين مهزوم في أغلب الجبهات!.. إن الإِيمان أُس، والجهاد حارس.

وما من أيام الجهاد فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام النحسات التي يذوق فيها المسلمون هزائم في كل ميدان، ويفقدون فيها الأرض والعرض والدنيا والآخرة!

غير أن الجهاد المطلوب من طراز آخر غير ما ألف الناس، إنه جهاد الكلمة، وجهاد البحث والدرس، وجهاد المال والقانون.. وأخيرًا الجهاد بالنفس حتى لا نفقد عقائدنا وكل مقوماتنا المادية والأدبية.. إن من حقنا أن ندفع عن ديننا وعن أرضنا، إنها لسفالة أن يطلب منا طالب أن نرتد عن إيماننا وأن نترك لغيرنا بلادنا!.. لماذا يباح لليهودي أن ينتمي إلى توراته، وأن يهتدي بنصوصها على تحديد الأرض التي يريدها من كياننا، ولا يُباح للمسلم أن ينتمي إلى قرآنه وهو يرد هذا الاعتداء؟!.

لماذا يكون الإِيمان من خلال تعاليم القرآن رجعية محقورة، ويكون الإِلحاد من خلال تعاليم الماركسية تقدما محترما؟!

إننا لا نوجب الجهاد لاضطهاد أقلية أو قسر الغير على عقيدة يأباها. إننا ندفع ضريبة تخلفنا العام! والجهاد المثمر ينبغي أن يتجه إلى أسباب هذا التخلف العلمية والخلقية الموروثة



والمجلوبة.. وبذلك ننجح في صد الطغاة ودحر العدوان..

إن الجهـاد المالـي صنـو الجهـاد النفسـي، وإن الأمم التي تتسول الإعانات من الدول الكبرى لن تعلو لها رسالة ما دامت يدها هي السفلى.

●●●

٢٠- القتال:

إن القتـال فُـرض علـى المسـلمين فرضًـا، سـواء كان مع الوثنيين أم مع الكتابيين، واضطروا لخوضه دفاعًا عن أنفسهم وعقيدتهم، وإلى هذا تشير الآية الكريمة:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ﴾ (الحج: ٣٩، ٤٠)

أترى المطرود من وطنه لأنه مؤمن بربه يُعد مهاجما إذا قاتل طارديـه؟!.. إن الدهشـة تملكتني عندما رأيـت كُتّابًا يصفون معركـة بـدر بأنها دليل علـى أن الحرب في الإسـلام هجومية! قريش كانت مظلومة وكان المسلمون هم الظلمة!!

والحـرب مـع الفرس بـدأ شـرها منذ مزق كسـرى كتاب الرسول الذي يدعوه فيه إلى الإسلام. لقد غضب هذا الكسرى غضبًـا شـديدًا، وكلـف واليـه على جنـوب الجزيـرة أن يأتيه بمحمد هذا؟!

إن المؤرخيـن الأوربيين غضاب لأن الإسـلام قاتل الرومان!





فهل سأل أحدهم نفسه : ما الذي جاء بالرومان إلى الشام وآسيا الصغرى؟ وما الذي جاء بهم إلى مصر والشمال الأفريقي؟ !

أكان الإقناع طريقًا إلى إخراج أولئك المستعمرين من أرض احتلوها أكثر من عشرة قرون؟ هل أفلح الإقناع في إنهاء استعمار البيض لجنوب أفريقيا؟

إنه المنطق نفسه الذي اتبع في وصف المقاتلين الفلسطينيين الذين اغتصبت أرضهم ودورهم وأُلجئوا إلى العراء! واعتبروا إرهابيين معتدين على اليهود الآمنين الطيبين! !

إن الحرب وحدها بكل مغارمها ومتاعبها هي الطريق الفذ لمحو الاستعمار الطويل.

ونحن لا نعرف في تاريخ البشرية حامل سيف أعف من محمد ﷺ، ما غضب لنفسه قط، ما غضب إلا لله وحده.

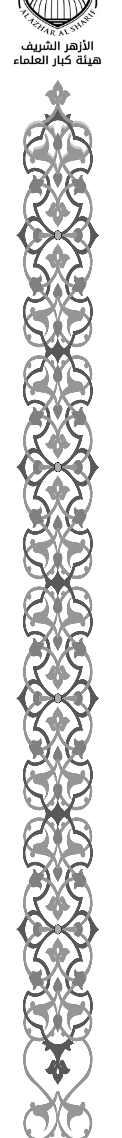
إن الإسلام بنى خطته في الحياة على استحالة زوال الأديان كلها، واكتفى بأن يبقى مذكرًا بالحق، منكرًا للهوى، وترى ذلك في قوله سبحانه:

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة: ١٤٥)

هناك ثلاثة مواطن يجب فيها على المسلم أن يقاتل في سبيل الله، ويعد مسيئًا إذا تخلف عنها:







الموطن الأول: منع الفتنة في الدين.

الموطن الثاني: تأمين الدعوة ليعرض المسلمون ما عندهم على غيرهم عرضًا غير مقرون برغبة ولا رهبة.

الموطن الثالث: الحفاظ على الدم والمال والعرض، فلا يجوز لمسلم أن يسلم حقوقه الطبيعية لقطّاع الطرق المحليين أو الدوليين، عليه أن يناضل لتبقى له، ولا يحل له أن يقبل الدنية في دينه أو دنياه.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾

(الشورى: ٣٩، ٤٠)

ويمكن أن ينضاف إلى هذه المواطن جهاد المجرمين الذين يحيون في الميدان العالمي على القرصنة والتفرقة العنصرية وإيقاع المظالم بالضعفاء أيا كانوا وأين كانوا.

أما القتال لنعرة جنسية، أو لأطماع شخصية أو لفرض الإسلام نفسه على الناس بالسلاح فمرفوض، قال تعالى:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

وقد وردت في القرآن آيات تزيد على مئة وعشرين آية تفيد كلها أن نشر الإسلام أساسه الإقناع الهادئ والتعلم المجرد وترك الناس أحرارًا بعد عرض الدعوة عليهم ليقبلوها أو يردوها!





إن الإسلام يأبى الإكراه في الدين، وإن كل ما ينشده حياة تتلاقى فيها التيارات الفكرية من كل جهة،

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾

(الرعد: ١٧).

لقد روى البخاري: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها».

وإن مصدر الخطأ في فهم عبارة «أقاتل الناس».

فقد طارت أذهانٌ إلى أن كلمة «الناس» تعني البشر كلهم! وهذا غلط بإجماع العلماء، فإنهم اتفقوا على أن الحديث لا يتناول أهل الكتاب من يهود ونصارى.

لماذا؟ لأن المعتدين من هؤلاء إذا ضُربت الحرب بيننا وبينهم ونسوا منطق الإيمان والحلال والحرام في تصديقهم لنا لم نقاتلهم حتى ينطقوا بالشهادتين، بل إذا كسر الله شوكتهم وبقوا على أديانهم وجردناهم من أسلحة العدوان وتولينا نحن الدفاع عنهم إذا هاجمهم أحد وعليهم في هذه الحالة أن يسهموا في نفقات الحرب. وإذا كان أهل الكتاب مستثنين من الحديث المذكور فهل يتناول الوثنيين كلهم؟

الجواب: لا؛ ففي حديث آخر صحيح إلحاق للمجوس بأهل الكتاب: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب» (موطأ مالك) الحق أن الحديث في مشركي العرب الذين ضنوا على الإسلام وأهله بحق





الحياة، ولم يحترموا معاهدة مبرمة ولا موثقا مأخوذًا، وقد مُنح هؤلاء أربعة أشــهر ليراجعوا أنفســهم ويصححوا موقفهم، فإن أبوا إلا القضاء على الإســلام وجب القضاء عليهم، وقد فصلت سورة براءة هذه القضية في أوائلها

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾

(التوبة: ٤)

أمــا مَن نصّبوا أنفســهم لحرب الله ورســوله وعباده إلى آخر رمق فلا يلوموا إلا أنفســهم، وقد يتساءل البعض: لماذا جاءت كلمة «الناس» عامة في الحديث: «أُمرت أن أقاتل الناس»؟

والجــواب: «أن «ال» - كما يقول علماء اللغة - للعهد، تأمل قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ (آل عمران: ١٧٣)

فكلمــة «الناس» الأولــى: تعني بعض المنافقيــن. والثانية: تعنــي الكفار، وهذا هو المعهود فــي أذهان المخاطبين، وتأمل قوله تعالى:

﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾

(النصر: ٢)

إن الناس هنا ليسوا البشر جميعا، إنهم العرب وحسب.






إن الحرب شيء كريه حقا، والويل للمجرمين الذين يشعلون نارها ويحتقرون آثارها، وفي الأديان السماوية كلها لم يأذن الله بحرب عدوان، وإنما أذن في حرب تُحمى بها الحقوق وتُصان الحقائق، وتبقى فيها بيوت الله قائمة لعبادته وحده:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾

(الحج: ٤٠)

ورب البيت لا يُطالب بالاستسلام لِلصِّ المغير إيثارا للسلامة، وصاحب العقيدة لا يُكلف بتركها تحت بريق السيوف.

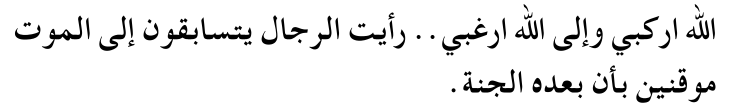
إن الفتوح الإسلامية كانت شيئًا خارقًا للعادة.

وإن الأدلة قائمة أمام عيون المؤمنين على أن القتال طلبًا للغنيمة جريمة، وأن المجرمين لا يُفتح لهم ولا يفتح عليهم، فعن أبي هريرة أن رجلًا قال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضًا من الدنيا؟ فقال: «لا أجر له» فأعاد عليه ثلاثًا كل ذلك يقول: «لا أجر له» (مسند أحمد).

وإن الصحابة جميعا والتابعين معهم يعلمون أن القتال طلبا لمغنم دنيوي مهلكة للدين، ومن ثَم خرجوا للجهاد ونفوسهم خالية من طلب الدنيا مقبلة على طلب الآخرة، وذلك سر فلاحهم ونصرهم على عدوهم، إن الإيمان حوَّل الصحابة إلى زلازل وبراكين أتت على الشرك من القواعد فإذا قيل: يا خيل





الله اركبي وإلى الله ارغبي.. رأيت الرجال يتسابقون إلى الموت موقنين بأن بعده الجنة.

والحق أن الوثنيات الدينية والسياسـية والاقتصادية لم تجد فـؤادا أشـجع ولا ذراعا أشـد من فؤاد محمـد ﷺ وذراعه، لقد قال: «إذا هلك كسـرى فلا كسـرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، فوالذي نفسي بيده لتُنفقن كنوزهما في سبيل الله» (مسند أحمد).

وإنهـا لمعجزة مـا عرف خبرها إلا محمـد ﷺ وحده.. إنه الإنسان الملهم العابد المجاهد صاحب هذا التغيير الحاسم في تاريخ البشـر، لقد جعل القمم سـفوحا، والسفوح قمما، وبين أن الهمل يستطيعون الوصول إلى أعلى السلم بالعلم والتربية، وأن الملوك يتحولون إلى عبيد بالترف والمعصية.

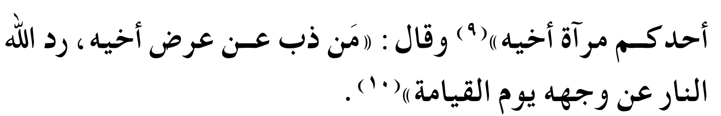
لقد ثبت لكل ذي بصيرة أن محمدًا ﷺ وحده هو الإنسـان الأول والقمة الأولى في تاريخ الحياة من أزلها إلى أبدها.

إن المسـلم هو أول المدافعين عـن الوطن، وأول المحامين عن العشـيرة، وأول القائمين بالحقوق المطلوبة من كل إنسان كريم؛ لأنه يأبى الضيم ويرد العدوان.

والمؤمن سـلاح لأخيه، وعضـد له في الشـدائد، والمؤمن بين إخوانه يتحرك بقواهم كلها لا بقوته وحده، وهذا الشـعور الجماعـي مـن معالم الجماعة المسـلمة، قال ﷺ: «المسـلم أخو المسـلم لا يظلمه ولا يسلمه» (مسند أحمد) وفي رواية: «المسـلم أخو المسـلم لا يخذلـه ولا يكذبـه ولا يظلمه، وإن







أحدكم مرآة أخيه»[٩] وقال: «مَن ذب عن عرض أخيه، رد الله النار عن وجهه يوم القيامة»[١٠].

ولقد سخر الاستعمار الحكم الفردي لإشاعة الفتك والسفك ونشر العار والدمار حتى كادت بعض الشعوب الإسلامية تفقد ملكة الشجاعة وعاطفة التعاضد والتناصر، فأصبح أحد لا يلوي على أحد، ولكي تحيا لا بد من إحياء التناصر بين المسلمين.

ولقد كانت قضية بيت المقدس وفلسطين منذ فجر التاريخ إلى قيام الساعة قضية دينية عند أصحاب الرسالات السماوية جميعا، فكيف يتجرأ البعض على جعلها قضية قومية أو اقتصادية؟! في هذه الأرض قامت رسالات وانتهت، وفيها نهضت دول وتلاشت، ثم ورث المسلمون بيت المقدس باسم الله.

وأنا أتساءل: ماذا وراء تجريد فلسطين من صبغتها الإسلامية إلا الضياع؟ يكفي في معاقبة بني إسرائيل أن يُطردوا من فلسطين؟

لا.. إن الله عزلهم نهائيا عن القيادة الدينية التي كانت لهم، وحرمهم من الوحي وشرف إبلاغه، واصطفى الأمة العربية لتقوم بهذه الأمانة، وكانت ليلة الإسراء والمعراج التصديق الحاسم لهذا التحول؛ فقد انتقلت الرسالة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، وأصبحت الأمة العربية لا العبرية هي الوارثة لهدايات السماء!

---

(٩) جامع الأصول.

(١٠) مسند ابن أبي شيبة ١/ ٤٤ - بنحوه.





ولــولا ظهور الإِســلام لفنــي اليهود : إنهــم وجدوا فــي أرضه الفســيحة وســماحته الممتدة مــا أبقى حياتهــم ، وإذا فقد عرب فلســطين أساســهم الديني أمام أتبــاع التوراة ضاعت فلســطين ، وعندما يزهد غيرهم في معتقداته الإِســلامية فســينطلق التبشير العالمي دون عائق وتكسب الصليبية جولتها الجديدة . إن تحقير الثقافة الإِسلامية وتوهين أركانها لا بد أن ينتهي بهذه النتائج .

***

٢١.الإسلام والعروبة:

إن الفكرة القومية عرفتها أوروبا في القرنين الأخيرين فقط ، ثم نقلها الاستعمار الثقافي إلى بلادنا ليطيح بوحدتنا الكبرى ، فالقول بأن العرب عرفوها وقاتلوا باسمها الروم والفرس ضرب من الهُراء الموغل في السخف .

إن الإِســلام وحــده هــو الذي رفــع العرب إلى مســتوى آخر جعلهم أســاتذة يُعلّمــون الفرس والــروم ، ويحاولون نقلهم من الظلمة إلى النور .

وأنا مصري عربني الإِســلام ، ولولا لغــة الوحي ما كانت لي صلة بالعرب ، اللغة وحدها لا الدم والعرق أو الجلد تنميني إلى هذا الجنس ، وما يسرني أن أكون هاشميا ، إذ الشرف عندي هو الإِسلام وحسب !

ولقــد كانت الطامة الكبرى إذ ظهــرت العروبة متخففة من الإِسلام ، أو مستنكرة له يقودها مَن لا علاقة له بالله أبدا .

إنــه لا يجــوز للجنس العربــي أن يعدو قــدره ويفتات علــى غيره ،





وينسى أن الإسلام ولي نعمته ومقيم دولته وحافظ كيانه وداعم أركانه.

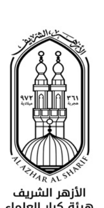
إن الإسلام لم يكن فورة جنسية، ولا نزعة استقلالية عن التدخل الأجنبي كما يريد نشر ذلك المستشرقون والمبشرون والعروبيون!.. إنه حركة إنسانية عامة تعلو على الأقوام والأوطان تربط الناس بربهم ليستهدوا به وحده ويستلهموا منه وحده، وليكونوا في القارات سواسية في الكرامة والولاء، فلا سجود إلا لله ولا حكم إلا لله.

إن رباط العروبة بالإسلام وثيق، وهذا الرباط وحده هو الذي يجعل العرب أمة قائدة رائدة، فإذا وهت صلتها به، فهي تخون أساس وجودها، وهي ستتحول حتما من رأس إلى ذنب، أو من أمة تدفع غيرها نحو الخير إلى أمة يدحرجها الآخرون إلى الشر أو إلى الهاوية.

إن العرب بهذا الدين أضحى لهم تاريخ جديد، وافتتحوا به صفحة مجد باذخ، ما كان لهم به عهد من قبل، وإن العرب عندما يحملون للناس حضارةً فحضارتهم هذه تنفرد بأنها موصولة بالسماء، تعرف الله، وتلتزم هداه، وترفض الفلسفات المادية والرغبات المجنونة في عبادة الحياة ونسيان ما بعدها.

وإن الله باختياره المسجد الحرام قِبلة لكل مصل في الدنيا يضاعف على العرب مِنّته، ويتم عليهم نعمته، إن الإسلام حوّل العرب إلى ربانيين بعدما كانوا شياطين، وجعلهم نماذج تُحتذى في ميادين العبادات والمعاملات، فكانت قيادتهم خيرًا وبركة، وكانت فتوحهم الفكرية والروحية أندى وأجدى من فتوحهم العسكرية الخارقة.

***



٢٢.التاريخ:

الإِسـلام وحـي معصـوم لا ريب فيـه، أما الفكر الإِسـلامي فهـو عمـل الفكر البشـري في فهمـه، والحكم الإِسـلامي هو عمل السـلطة البشرية في تنفيذه، كلاهما لا عصمة له، والأمة الإِسلامية ـ بفضل الله ـ لا تُجمع على خطأ.

ولا غرابـة في وجود أخطاء في تاريخنا الثقافي والسياسـي، وإنمـا الغرابة في التسـتر على هذه الأخطاء أو الاسـتحماق في معالجتها والتعفية على آثارها.

لقد تحوّلت الخلافة الراشـدة إلى ملك عضود في بني أمية، إلا أنه من الغلو المرفوض تضخيم نتائجه لما يلي:

(أ) إن الخلفاء والملوك الذين وُلوا أمور المسلمين بطريقة غير صحيحة أعلنوا أن ولاءهم للإِسلام، وأن التغير في أشخاص الحاكميـن لا يعني التغير في القوانين أو الأهداف الإِسـلامية، ومن أجل ذلك اسـتأنفوا الجهاد الخارجـي كما تركوا للفقهاء حرية الحركة ما لم يمسوا سلطانهم في الزعامة.

(ب) إن العلم الديني مضى في طريقه يوسـع الآفاق ويربي الجماهير، ويقرر الحقائق الإِسلامية كلها من الناحية النظرية، أي أن الإِسـلام الشـعبي مع ازوراره عن السـلطة بقي قادرا على الامتداد والتأثير.

(ج) مـع أن الدولـة كانـت عربيـة تتعصـب لجنسـها فإِن الجماهير والت تعاليم الإِسلام وحدها وألقت قيادها في أغلب العواصم لفقهاء ودعاة ومربين من الأعاجم.





ومن النكسات التي أصابت جماعة المسلمين وأوهت قواهم من قديم، انفصال الحكم عن العلم، وسير كل منهما في مجرى اختص به.

وفي انفصال الحكم عن العلم ورث المسلمون المعاصرون مشكلتين جديرتين بالنظر العميق:

الأولى: هجرة العقول الكبيرة إلى الغرب.

والأخرى: رداءة الأوعية الحاملة للفقه وطلبها للدنايا تحت أقدام المستبدين.

ومع ما تعرض له التاريخ الإسلامي من مد وجزر وذبول وازدهار، فإن الأمة الإسلامية فرضت طابعها المتميز على الفكر البشري، وجعلت خصومها يراجعون أنفسهم ويجمدون بعض مواريثهم أو يتخلون عنها، إن الأمة الإسلامية برغم تعاسة الظروف التي ألمّت بها ـ أرست قواعد خير كثير في هذه الحياة وما يبقى لها بعد معادلات الحذف والإضافة يزينها ولا يشينها.

صحيح أن المسلمين اليوم في أوضاع بالغة السوء، وصحيح أن فساد الحكم حقبًا طويلة من وراء هذا الانحدار بيد أن الأمة الجريحة لا تزال أنبل من قاتليها، ولا تزال ثروتها الروحية أجدر بالتقدير وأحق بالتقديم، ولا يزال المسلمون برغم جراحاتهم الخطيرة أولى بالله وأعرف برسالاته وأملك لأسباب العافية وأحق بالبقاء.





٢٣. السلف والخلف:

لا يوجد مسلم يحجب ولاءه عن السلف، أو يرفض الاستقامة على نهجهم، كيف وهم دعامة الدين وحرسه الشديد، وحاملوه إلينا نقيا قويا؟!

لقد درسنا في الأزهر ونحن طلاب مذهبي السلف والخلف في آيات الصفات أعني التفويض والتأويل، وتم ذلك دون تشنج أو توتر أعصاب، وترك لمن يشاء أن يختار ما شاء من أقوال.

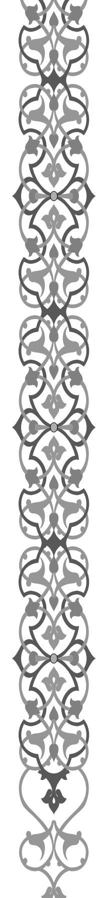
وقد اخترت رأي السلف؛ لأنه في نظري أعرف بوظيفة العقل الإنساني وقدراته، ولأنه يسد الأبواب أمام مجالس الثرثرة الدينية التي تضيع الوقت سُدى، ولأنه احترم مصادره الأصلية وازدرى فكر اليونان!

ومع ذلك فقد تعمقت في فهم أفكار الخلف وأستطيع القول بأن جمهرتهم حِراص على توحيد الله وتوقيره، وأن دراستهم لا بد منها في فهم الملل والنحل ومقارنة المذاهب، وأن الأفضل الآن تحنيط هذه الدراسات ووضعها في المخازن للذكرى والتاريخ.

فالنزعة العقلية المعاصرة لا تحب أن تسمع بحثا عن: هل الله عالم بذاته؟ أو بصفة زائدة على الذات؟ إن هذا اللون من الفكر أمسى لغوا، وعلى معتنقي فكر السلف أن يتجردوا لنصرة دينهم، فالمدى فسيح، أما أن يعتبروا اعتناق الفكر السلفي هو نصرة الدين وأن إلحاق الهزائم بالأشاعرة قربى إلى الله فذاك الآن نوع من البطالة!







٢٤. المدنية الحديثة:

إن المدنية الحديثة مسئولة عن السعار المادي الذي أذهل الناس عن كل شيء إلا نداء غرائزهم.

إن هذا التقدم المادي لم يواكبه تقدم روحي وإن إنسان العصر الحديث لا يختلف كثيرا عن إنسان العصر الأول في غرائزه وشهواته.

وإذا كان ثمة فروق ففي الوسائل لا في البواعث والغايات، بل لقد قيل في إنسان العصر الحاضر إن عضلاته أكبر من عقله.

إن الإسلام عقل يرفض الخرافة وقلب يكره الرذيلة، والرجل الأبيض قائد هذه الحضارة ورائدها ـ إنسان طافح الأنانية يشده إلى منافعه ألف رباط.

ولقد كان الجنس الأبيض وطلائعه الغازية المكتشفة يعبدون أنفسهم ويقدسون مصالحهم، ولا تحكمهم إلا شرعة الغابة.

لقد اكتشف الإنجليز استراليا فماذا فعلوا بسكانها؟ لقد شرعوا يطاردونهم من مكان إلى آخر حتى حصدوا جمهرتهم.

ولم يكن سكان أمريكا الأصليون أسعد حظا من استراليا، لقد تعقبتهم حرب الإبادة من بلد إلى بلد، إن مأساة هؤلاء المتحضرين أنهم ارتقوا علميا، وهبطوا خلقيا، وأنهم عبيد لذاتهم العاجلة. إن الإنسان يتحول إلى وحش كاسر عندما ينسى الله واليوم الآخر لا سيما إذا كان هو واضع القانون ومطبقه، وإن المنكور هو انعدام التوازن في أية حضارة بين



جوانبهـا الماديـة والأدبية.. وإن العلم مهمـا تقدم لا يغني عن الإيمـان، والإيمان الذي نحترمه هـو الذي يعانق العقل وتزدان به الحياة.

ولقـد نظرت إلى جموع المستشـرقين وهم قـوم ذو ثقافة واسعة، وقد لفتهم ضغائن غبية ضد محمد ﷺ فأذاعوا عنه أنه كبني جنسه محب للنساء.

إن هؤلاء المستشـرقين قرءوا في العهد القديم أن سـليمان جمع في عصمته ألفا من النســاء: سبع مئة من الحرائر، وثلاث مئـة من الإمـاء، فهل كان لدى محمد عُشـر ما عنـده؟.. لا.. نصف العشر؟ لا.. ربع العشر؟.. لا!

ومع ذلك فسليمان نبي حكيم ومحمد دون ذلك!

ما قيمة العلم إذا لم يكن معه إنصاف ولا عدالة؟! إنني أمقت الذكاء الخبيث والثقافة المسفة، وعندي أن امرأة حصانا غافلة أشــرف من مومس عبقرية، وأن رجلا ســاذجًا يعرف ربه أشرف من خبير في الذرة يعبد نفسه!

إن الحضــارة المادية التي تســود العالم تؤمن بالجســد ولا تؤمــن بالــروح، وتؤمــن بالحيــاة العاجلــة ولا تكتــرث باليوم الآخــر.. والعالم الآن لا ينحنــي لصنم من حجر، ولكنه يتفانى في أصنام حية قامت شــواخص مهيبة فــي دنيا الحكم والمال، وخافها الناس أكبر مما يخافون رب الأرباب.

لقــد نجحت الحضــارة الحديثة في ميــدان البحث المادي،





وتعمقت في الدراسات الكونية كلها، وهذا النجاح في رأيي يجعلها أقرب إلى منطق القرآن الكريم، وأدنى إلى منهجه؛ فإن التفكير في الكون أرضه وسمائه وما بينهما مطلب إلهي لا ريب فيه.

ونحن معجبون بالقدرة التنظيمية التي جعلت الإدارة فنا رفيع المستوى، وأبدعت أساليب لمنع الطغيان الفردي والهوان السياسي، وإن كان الغربيون قد جعلوا هذه الثمار حِكرا على الرجل الأبيض، ومع هذا السبق البعيد فإن الحضارة الحديثة لا تزال واقفة عند العصر الحجري في ضبط الغرائز وترويض الحيوان الرابض داخل الجسم البشري وكبح الأثرة المسعورة، وجعل المرء يحب غيره ويغار على حقوقه أو على الأقل يعدل مع غيره، ويعترف له بحقوقه طوعا لا كرها!

وقبل ذلك فشلت هذه الحضارة في التعرف على رب العالمين وتأسيس علاقة صحيحة معه تقوم على توقيره وتقدير نعمته، والشعور بعظمته والتسبيح بحمده، والتعويل عليه في الأزمات والاطمئنان إليه في المخاوف لكن.. من أين تطرَّق الخلل إلى هذه الحضارة حتى إنه ليهدد مستقبلها؟

السبب الأول ناشئ ـ فيما أرى ـ من خيانة أهل الأديان لرسالات الله؛ فالاسترخاء العقلي ألحد العلم وأساء الظن بالوحي كله.

لقد نسيت هذه الحضارة الله كل النسيان، ولم تأخذ أي



أهبــة للقائه، إنها تعبد اليوم الحاضـــر وتجحد ما وراءه، وتعبد لجسد، وتغالي بمطالبه وحدها.

ولا تــزال - هــذه الحضــارة الحديثــة - تحتــرف التفرقــة العنصرية، وتتعامل مع الأجناس الملونة، ومع معتنقي الإِســلام خاصة بمشاعر الضغن والزراية!.

إن الحضارة التي تسود العالم اليوم تشوبها نقائض ونقائص كثيرة.. وذلك يؤكد ضرورة الرجوع إلى وحي الله والاســتهداء بــه في متاهات الظنون، ومتشــعبات الهوى، إنــه لا بد من دين لدنيا الناس.

ونحن المسلمين نملك الوحي الخاتم، ومن حقنا وحدنا أن نتكلم باســم موسى وعيســى ومحمد جميعًا، فإن كتابنا جمع لبــاب الدين، وتضمن جملة الحقائق التي يفتقر إليها البشــر، ليوفوا بحق الله أولًا، ثم ليتعايشوا متعاونين متراحمين في هذه الحياة.

بيــد أن النــاس لن يســمعوا حرفًا منــا ما بقينا علــى تخلفنا الشــائن، وما بقينــا جهلة بقيمة التراث الــذي لدينا، وما بقينا - علــى غنانــا - نتســول من الشــرق أو الغــرب برامج إصلاح وضرورات حياة.

فلنســتعد ثقتنــا بأنفســنا، ولنوثــق إيماننــا، ولنتمســك بالخصائــص التــي زكت وارتقت بها أمتنا، وهــي ما قررته الآية الكريمة:





﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

(آل عمران : ١١٠)

إننا لسنا جبهة ثالثة في العالم، إننا الجبهة الأولى فيه، فلما أزرينا بأنفسنا أزرى بنا الآخرون، وطريق العودة ممهد لا مسدود !.

أنا أريد من أمتنا أن نقتبس من حضارة الغرب ما يوافق أو يتواءم مع فطرة الله في مواريثنا.. وما أيسر التوفيق بين التقدم الحضاري ومواريث الدين والخلق والوفاء بحقوق الله.

لقد انتقلت الصناعات الغربية إلى اليابان، ولم يتحول اليابانيون إلى أوروبيين في عقائدهم أو لغتهم أو آدابهم أو أخلاقهم.. إنهم فعلوا ولم ينفعلوا، وقادوا ولم ينقادوا.

●●●

٢٥- أهل الكتاب:

إن من أهل الكتاب أناسًا أوتوا سعة في العلم، ونزاهة في الحكم، ورغبة إلى الله، آمنوا بموسى وعيسى ومحمد جميعًا، ورفضوا أن يبهتوا عباد الله الصالحين، ويناصبوهم العداء. وقد أشار القرآن إلى أولئك الصنف الطيب من اليهود والنصارى منوهًا بسيرتهم وعدالتهم:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ



﴿ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾

(آل عمران : ١٩٩)

ولقد التقيت الدكتور «موريس بوكاي» (١٣٣٨ - ١٤١٨ هـ/ ١٩٢٠ - ١٩٩٨م) في ملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر، وسمعته يتحدث بإعجاب واحترام شديدين عن أسلوب القرآن في تناوله للحقائق العلمية والتاريخية، وكيف عصم من الأخطاء التي تورطت فيها كتب مقدسة أخرى.

وقد سأله أحد الناس: لِمَ لَمْ يعلن إسلامه؟. فأجاب: قلما أسير إلا متوضئًا!.

وقد أسلم بعض المستشرقين ممن غالبوا قيود التقاليد، ونلحظ أنه إذا أسلم عشرة آلاف نصراني فلن يسلم إلا يهودي واحد!.. إن النصارى أرق قلوبًا وألين عريكة:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾

(المائدة : ٨٢ - ٨٤).

وهناك أهل كتاب خطوا إلى الأمام خطوة واحدة، فقالوا: إن محمدًا رسول حقًا، ولكن إلى العرب وحدهم!.






وهناك أهل كتاب حبسـوا في نطاق ما ورثوا ، لا يعرفون عن محمد ﷺ شيئًا ، أو يعرفون ترهات من رجال الدين التائهين أو بعض السادة الموتورين .

وتبصير هؤلاء بالحقيقة كلها دَين في أعناق الدعاة المسلمين لم ينهضوا بسداده ، تُرى متى ينهضون ؟ ! . . وحساب هؤلاء إلى ربهم ! . والذي أراه أنهم مكلفون - في غياب الوحي عنهم - بمقدار ما أوتوا من ذكاء وقدرة على نقد الموروثات الرديئة واتخاذ موقف ما منها .

ولا أظن أن هذا الموقف ينطبق على أهل الكتاب الذين يعيشون بين ظهراني المسلمين ! ، والذين جند الاستعمار العالمي نفرًا منهم ارتكبوا المذابح واقترفوا المآسي وخانوا الجوار ! .

والغريب أن (بعض) أهل الكتاب (في الغرب) بعد خمسة عشر قرنًا من مطلع الرسالة الخاتمة - لا يزالون كما هم ، لم يثوبوا إلى رشدهم ، تهدد الفلسفات المادية وجودهم ، ويزحف الإلحاد الأحمر على حضارتهم ، وبدل أن يتعاونوا مع المسلمين على مقاومة الظلام المقبل ، يتجاهلون كل شيء إلا ضرورة القضاء على الإسلام ، وإبادة أهله ! سمعت واحدًا من أهل الكتاب يقول : من الصعب تصديق رجل مولع بالنساء ، تزوج تسعًا منهن ، من الصعب تصديق أنه نبي ! .

قلت : ومن السهل التصديق بنبوة رجل زنى ببناته وهو مخمور ! . . ومن السهل التصديق بنبوة رجل زنى بإحدى قريباته





خداعًـا واغتصابًـا !، ومن السـهل التصديق بنبـوة رجل تعجبه امرأة مجاهد في سبيل الله، فيستقدمها ويضاجعها ويضع خطة لقتل زوجها حتى يتفرد بها !!.

هـؤلاء في موازينـك أنبياء عظـام.. أما محمـد الذي تزوج بعـض الأرامل وعاهدهن على ترك الدنيا وزينتها، وطلب منهن أن يقمـن الليـل معـه متهجدات، ومـا تزوج واحدة إلا لسـبب اجتماعـي، وعـرض عليهن جميعًا مفارقتـه إن رغبن في المتاع العاجـل، محمد، بعد هذا كله، ليس جديـرًا بالنبوة. إن الزناة في منطق العميان أولى بها منه !.

إن عصابات من المبشـرين والمستشـرقين والمستعمرين تقاتـل الآن الأمة الإسـلامية، وتقتـرف المناكيـر للإتيان على رسـالة محمد، وتشـويه سـمعته، وإطلاق الإشـاعات الكاذبة حوله.

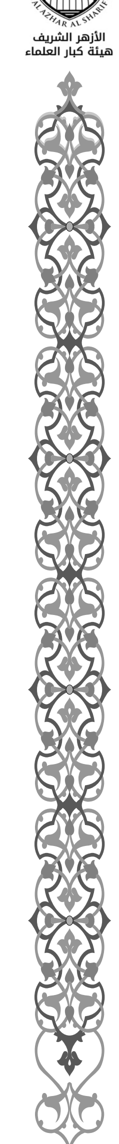


٢٦- العلمانية:

لقـد رأيـت فـي أرجـاء البـلاد العربيـة أناسًـا ينتمـون إلى «العلمانية» ويسـتبعدون بعنف كل إشـارة للإسـلام في ميدان التربية أو القانون أو الثقافة أو التوجيه.

وتفرسـت في وجوه هؤلاء وأعمالهم فما رأيت صحة نفسية ولا دقة عقلية. فيهم مسـلمون - كما يُقال - يكرهون ما أنزل الله، وفيهـم كتابيـون ينضمون إلى كل جبهة تخاصم الإسـلام





لكي يكثروا السواد ويشيعوا الأحقاد، ويتظاهرون - مع ذلك - بالحياد!. ويستحيل وصف أحد من هؤلاء بأنه إنسان رشيد؛ لأنه لو كان ذا نزعة قومية مجردة لعلم أن بني إسرائيل تسلحوا بعقيدة مهاجمة، وسياسة جعلت الدين يغتصب الأرض والعرض، فكيف يُقبل الدين مهاجمًا وتُرتضى سياسته وتُحترم سطوته؟ ويُرفض الدين مدافعًا، ويُعتبر إشراكه في التربية والتقوية سياسة رجعية مرفوضة؟!.



٢٧- الإلحاد:

إن الملاحدة خلطوا خلطًا قبيحًا بين الحق الذي نزل من عند الله وبين الباطل الذي صنعه البعض من عند نفسه وزعم أنه دين.

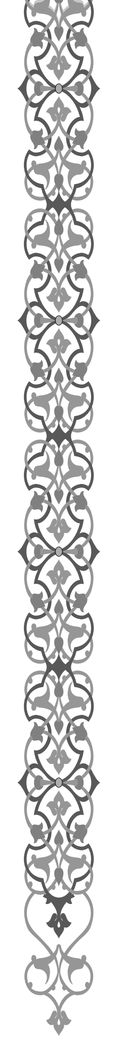
وهل يمكن للشخص الملحد الكافر بالله ولقائه ووحيه أن يكون سويًا رشيدًا؟!. إن مثل هذا المخلوق مصاب يقينا في بصيرته وسيرته، وإنكاره لربه أفحش من عقوق الولد لأبيه البر الرحيم.

وقد تكون له موهبة علمية، لكن ذلك لا يرفع خسيسته. وقد حكمت الولايات المتحدة بالإعدام على عالم بالذرة أفشى أسرار عمله للروس، إنه عد من كبار المجرمين لأنه خان وطنه وقومه.

وما الوطن؟ قطعة من الأرض. وما القوم؟ قبيل من الناس.







فكيف بمن خان رب الأرض والسـماء ورب البشـر كلهم؟. ألا يعد مجرمًا؟!

إن الشـخص الذي يرفض معرفة الله والتقيد بدينه مهما نبغ في أمـر ما، فهو معتـل الضمير، زائغ التفكير، مخوف السـلوك على الأقربين والأبعدين، بل هو إلى الحيوان أقرب منه إلى الإنسان.

إن شـرح حقيقة التوحيد في الأسـلوب القرآنـي يمحو آثار الإلحاد، وينفي شبهات الملحدين.. إن الصفر لا يصنع شيئًا، والعدم لا ينشئ وجودًا، ومَن ظن أن العالم كان معدومًا ثم عراه الوجود من غير شـيء فهو أحمق.. إن العلماء مشـدوهون أمام سعة الكون التي لم تعرف لها إلى اليوم نهايات، أفلا يكون رب الكون أكبر من الكون نفسه؟ بلى، والله أكبر.

إن العالـم ليـس له من ذاتـه وجود.. إن وجـوده طارئ عليه من الخـارج. أتـرى المصبـاح الكهربائي عندما تغمـز «الزر» فيضيء؟ أنه لا يضيء أبدًا من ذاته، لا بد من تيار خارجي يسري فيه فيتوهج. إنه معد فقط للاسـتقبال، وإشـعاع مـا يجيئه من جهـة أخرى، كذلك الكون. إن وجوده ذاتًا وصفاتًا مُفاض عليه من أعلى، وإذا انقطع التيار الذي يمده تلاشى واستخفى فلا أثر له، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾

(فاطر: ٤١)





وإذا كان بعض الملحدين يحسب نفسه مفكرًا، فليعلم واقعه المر !. إنه امرؤ معتل الفكر، مصاب بداء عقلي منفر لا يقل عن الجذام ! بل ربما كان المجذوم أشرف خلقًا وأصح فكرًا.

إن أثر الإيمان باليوم الآخر عميق في التربية النفسية والاجتماعية، إنه يتحمل حينا ليظفر بالراحة بعد حين !. كما قيل لأعرابي: تصوم في هذا اليوم الحار؟ ! فقال: أصومه ليوم أحر منه !.

أما الماديون الذين يزحمون الآن مشارق الأرض ومغاربها، فما يعرفون إلا هذا السراب، وما يعولون إلا على أيامهم فوقه، وما يرمقون السماء بنظرة رجاء، وما يعطفهم على ربهم ولاء ولا عرفان...

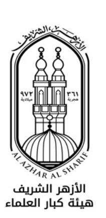
●●●

٢٨- الإسلاموفوبيا:

«جروسيوس» (١٥٨٣ - ١٦٤٥م) أبو القانون الدولي، قال بوجوب عدم معاملة الشعوب غير المسيحية على قدم المساواة مع الشعوب المسيحية !. ومع أنه يرى القانون الطبيعي مُجيزا لعقد معاهدات مع أعداء الدين المسيحي إلا أنه نادى بتكتل الأمراء المسيحيين ضد أعداء العقيدة !.

و«جينتليس» هاجم فرنسوا الأول (١٤٩٤ - ١٥٤٧م)





لعقـده معاهـدة مـع السـلطان سـليمان القانونـي (١٥٢٠ - ١٥٦٦م) - الخليفة العثماني - ١٥٣٥م - مع أن هذه المعاهدة أقامت سـلامًا بين الدولتين وأعفت الرعايا الفرنسيين من دفع الجزيـة التي كانت مقررة على غير المسـلمين إذا ما أقاموا في دار الإسلام ! ومنحتهم امتيازات دينية وقضائية.

وذلك على أساس أن المعاهدة تقيم تعاونًا بين ملك مسيحي وبين غير المؤمنين !.

وهـا قد طلع العصـر الحديث.. وقيل إن للإنسـان حقوقًا، وللشـعوب كرامات ! فهل اختفت المواريـث القذرة في تاريخ العالم وتخلصت البشرية من طبائع الظلم والغبن ؟.

إن قضية فلسـطين نموذج لشر ضروب التعصب، لقد طرد شـعب مسـلم من داره، وحلت محله إسـرائيل، وقالت الدولة الراعية : لقد خُلِقَتْ إسـرائيل لتبقى.. وستتبع فلسطين أقطارًا أخرى ما دامت جزءًا من دار الإسـلام ؛ لأنها في نظر الاسـتعمار القديم والحديث دار حرب !!.

إننـا لا نحب هذا التقسـيم، ولكن غيرنا ألجأنـا إليه، وإذا تركه تركناه.

إن الغـرض مـن كشـف العالـم الجديد لم يكن لأسـباب اقتصادية مجردة ! بل كان لأسـباب دينية أهمها القضاء على الإسـلام !.. وأترك الكلام للمؤرخ العالمي (هربرت فيشر) (١٨٢٤ - ١٩٠٧م) : «لا يمكن القول بأن الدافع لاكتشاف








العالم الجديد لا يتعدى الرغبة في الحصول على التوابل والذهب، إذ اختلطت المشاعر الدينية بالمطامع الاقتصادية، ففي الفاتيكان كانت المشروعات التبشيرية تتناول العالم بأسره، وكانت مشروعات البرتغال وإسبانيا تثير أكبر قسط من الاهتمام، لا لأنها تفضي إلى تنصير الوثنيين فحسب، ولكنها أيضًا ستفضي إلى شن هجوم على المسلمين من ناحية الشرق!. كان المعروف أن نجاشي الحبشة مسيحي، وكان المعتقد أن بالهند دولة مسيحية يحكمها عاهل يلقب بالخان الأكبر، وكان يداعب أوروبا الكاثوليكية أمل كبير في أن تتلقى من هؤلاء الملوك الشرقيين مساعدة فعالة في حرب صليبية ضخمة أخيرة تشنها على المسلمين. تلك هي خطة الهند كما رسمها نقولا الخامس - بابا روما - منذ وقت مبكر يرجع إلى سنة ١٤٥٤م في مرسوم بابوي إلى ملك البرتغال. وفي هذا الجو المفعم بالآمال الكبار أقلع (كولومبس) (١٤٥١ - ١٥٠٦م) ليكشف الطريق إلى الهند غربًا»(١١).

لقد كنت أحسب أن الارتقاء الحضاري الحديث قد محا أحقاد الماضي، ويسر للناس جميعًا أن يتعارفوا لا أن يتناكروا، فلما وقعت مذابح لبنان - في ١٩٨٢م - رأيت كأن العداوة

---

(١١) من كتاب (أصول التاريخ الأوروبي الحديث) ترجمة أساتذة التاريخ بجامعة عين شمس.





ولـدت اليـوم أو أمـس فقط ! . رأيـت جثث الأطفال المشـوهة المبعثرة هنا وهناك تشـهد بأن القوم يقتلون في هؤلاء سـكان بيت المقدس أواخر القرن الرابع الهجري ! .

●●●

٢٩- التجديد:

إن التجديد المنشـود هو حماية الأصـل مما اعتراه وتنقيته مما شابه وعكر رونقه، إنه غسل الثوب حتى يزول عنه القذى، أو إزالة الغبار عن صورة غطى الإهمال ملامحها.

وإن حـركات التجديـد والإصلاح تخبو أو تضـيء، وتكبو أو تمضـي بمقدار موقفها مـن آفات تحريـف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

ولما كان تجديد الإسلام عودًا إلى الأصل النازل من السماء، فـإن المثل الأعلـى والقـدوة الصالحة لا يؤخذان إلا من سـيرة محمد ﷺ وصحبه.

والمشـغولون بتجديد الفكر الإسلامي ينبغي أن ينظروا في هدف الوسـائل المطلوبـة، وأن يتخيروا منهـا أفضل ما يحقق الهدف، ويبرز محاسـن الإسلام، ولا عليهم أن يقتبسوا من هنا ومن هناك.

إن تجديـد الفكـر الديني يتطلب عقلًا أنضـج وقلبًا أزكى، يتطلـب بصرًا بأخطاء التاريخ ومزالـق الأجيال، يتطلب علماء بالكتـاب لا مجرد قراء، وخبراء بالسـنة لا مجرد رواة، وفقهاء







في الشرع لا مجرد مقلدين، وبصراء بالتربية والتثقيف لا عبيد تقاليد سائدة وأصحاب دراسات عفنة.

إن مجددي الإسلام بذلوا جهودًا جبارة ليعود إلينا الوعي الغائب.

●●●

٣٠- الصحوة الإسلامية:

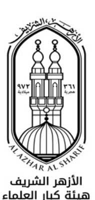
لست بعيدًا عن ميدان الصحوة الإسلامية، بل أحسبني واحدًا من الكادحين في جنباته، لقد تلقيت العلم عن مجاهدين ذوي صلابة، ثم قمت بتعليم شباب سبقوني سبقًا بعيدًا في إحراز الرضوان الأعلى، لأنهم ماتوا شهداء في سبيل الله.

إنني لمست بيدي صحوة الإسلام في هذه الأيام، وصافحت بحرارة وحب رجالًا يقاتلون عن بقايا الإسلام في «الفلبين» على شواطئ الهادي، ورجالًا آخرين يحرسون مواريث الإسلام على شواطئ الأطلسي.. وبين الشاطئين المتباعدين قامت مدارس تجاهد بالقلم وكتائب تجاهد بالسلاح، تزود الغزوين الثقافي والعسكري عن أرض فيحاء نام ساستها حينًا من الدهر، فدفعوا ثمن نومهم ذلًا فادحًا واستعمارًا فاضحًا.

إن الصحوة الإسلامية حقيقة قائمة، ولكن الإعداد لسحقها وتبديدها حقيقة أبرز للعين وأرهب للنفس.. إنها تكتنفها أخطار هائلة، يشارك في صنعها مبشرون ومستشرقون وساسة وعسكريون وأدباء وإعلاميون، وملاحدة وكتابيون، ومصارحون ومداهنون، وأناس غرباء وأناس من جلدتنا.







والمستشـرقون الأوروبيـون يعرفـون طبيعـة الإسـلام، ويرصدون تاريخه القديم والحديث بعيني ذئب جائع.

تدبـر قول المستشـرق الألمانـي (باول شـمتز) في كتابه (الإسلام قوة الغد العالمية) - الذي صدر من نصف قرن تقريبًا - : «إن انتفاضة العالم الإسـلامي صوت نذير لأوروبا، وهتاف يجوب آفاقها، يدعوها إلى التجمع والتساند لمواجهة العملاق الذي بدأ يصحو».

ولست أخاف أولئك كلهم يوم يكون قادة الصحوة الإسلامية من معدن إسلامي صافٍ، يجددون سيرة سلفنا الأول، فيعملون بعقل مفتوح وقلوبهم ترنو إلى الله وحده.

إن أية يقظة إنسانية إنما تنهض بدءًا وختامًا على حدة العقل وسـناء القلـب.. وإذا كان الجهل بقوانين البشـر لا ينجي من اللائمـة، فإن الجهل بسـنن القدر أسـوأ عقبى، ومـن هنا رأينا الحساب شديدًا للمنهزمين في أحد!. قيل لهم دون مواربة لما سألوا عن سر هزيمتهم:

﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾

(آل عمران: ١٦٥)

إن حاضـر المسـلمين يقبـض الصـدر، وقـد يبعـث علـى التشـاؤم، ولكني واثق من أن هذه المحنة ستنجلي كما انجلت محن أخرى في أيام مضت.

على أن انجلاء المحن لا يشبه انقشاع السحب، نرقبه ونحن





مكتوفـي الأيدي.. كلا، لا بد من عمل جاد وسـعيٍ لاغب.. لا بد أن يعتنق المسلمون الإسلام يقينًا وخلقًا ونشاطًا وفكرًا.

وانفصـال العلـم عـن الحكم في أغلـب البلاد الإسـلامية، وأرى أن الصحوة الإسلامية المعاصرة مكلفة بتكوين هذه الأمة الجديدة، وإنصاف رسالة الإسلام من هذا البلاء.

إن الدول الإسـلامية يجب أن تتقارب وتوهي الحدود بينها، ولا بـأس أن يبدأ ذلك بأسـواق مشـتركة، أو بتكوين اتحادات إقليمية.. على أن يكون الهدف الأهم تجميع المسـلمين كافة في كيان واحد، أو جسد روحه الإسلام.

●●●

هكـذا أبدع الشـيخ الغزالـي معالم مشـروعه الحضاري.. وفيها تناثرت العبارات التي يمكن أن نضعها في باب:

الحِكم الغزالية:

وذلك من مثل:

١- الإسـلام قلب تقي وعقل ذكي.. قلب يكره الرذيلة، وعقل يرفض الخرافة.

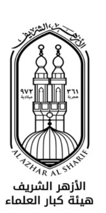
٢- إن اكتمال الوحي يفتح الباب واسعا أمام العقل.

٣- لا يعرف الله إلا الله.

٤- إن أسماء الله الحسنى هي تقريب للعظمة الإلهية من العقل الإنساني الكليل.

٥- إن العرب ما دخلوا التاريخ إلا بالإسلام.









٦- إن انتشار الجهالة لا يعطيها وجاهة.

٧- إن الزمان ســوف ينعدم كما ينعدم الوزن عند رواد الفضاء، وهل الخلود إلا انعدام الزمان؟.

٨- منذ أربعة عشر قرنًا والشمس هي الشمس والقمر هو القمر والقرآن هو القرآن.

٩- إن ســير الأفراد والأمم، وازدهار الحضارات وانطفاءها إنما يخضع لسنن دقيقة.

١٠- إن القوانيــن الاجتماعية لا تقــل دقة واطرادًا عن القوانين العلمية.

١١- إن العلوم المدنية ليســت وقفًا على جنس من الأجناس أو عصر من الأعصار.

١٢- ليــس للوحــي الإلهي دخــل فــي البحــوث الكيميائية أو الكشوف الفلكية أو الإنتاج الصناعي.

١٣- إن انقســام العلم إلــى ديني ومدني لم يقــع إلا في عصور السقوط والاضمحلال.

١٤- إن منطق الملاحظة والتجريب هو منطق قرآني المنبت.

١٥- الكتاب والسنة معا دعامتا الدين، ولا يتعارض حديث مع كتاب الله أبدًا، والقرآن أصل الإسلام والسنة فرع يأتي بعده بيانا وتفسيرا، والشريعة لا منبع لها إلا الكتاب والسنة.

١٦- إن أربعين حديثًا تكفي الشخص العادي وتغنيه.

١٧- إنه لا سنة بغير فقه.





١٨- إن الإِسناد من الدين، ولولاه لقال مَن شاء ما شاء.

١٩- إن الصلاة معراج روحي يرقى بصاحبه إلى الملأ الأعلى.

٢٠- الوضوء رمز لفلسفة الإِسلام في تكريم الجسم الإِنساني وإعزازه.

٢١- التجمل هو إبراز الجمال الطبيعي، أما التبرج فهو تهييج الغرائز يميل بها نحو الإِثم، وجمال الأنوثة غير جمال الرجولة، والإِسلام يرفض تشبه أحد الجنسين بالآخر.

٢٢- المؤمن لا ينجس أبدا والجنابة عارض يمكن الخلاص منه على عجل.

٢٣- إن المسجد يجمع ولا يفرق.

٢٤- إن الكلام عن الغيب لا يقبل إلا من المعصوم وحده.

٢٥- يجب أن نضمن للكادح ثمن عرقه وجزاء سعيه.

٢٦- يجب أن يكون الإِنفاق والجهاد والمحيا والممات جميعا في سبيل الله.

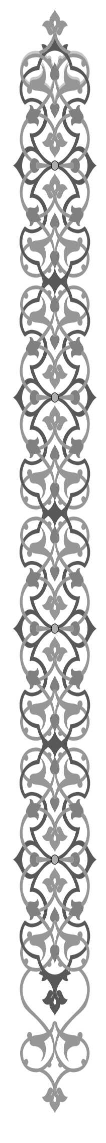
٢٧- لقد أقر الإِسلام حق التملك، وأثقله بالقيود التي تمنع سطوة الأثرة وطغيان الاستغناء.

٢٨- حيث يكون الخلل السياسي يكون الإِثراء الحرام.

٢٩- إن العمل هو المصدر الأساسي للثروة.

٣٠- إن الاحتكار جريمة خلقية واجتماعية وهو أقصر طريق لأكل أموال الناس بالباطل.

٣١- إن الكفر كالجنون.. فنون.







٣٢- ربما تمر بالمســلمين أيــام يكلفون بإِنفــاق ما يزيد عن حاجتهم الخاصة لا يستبقون شيئًا.

٣٣- الصوم هو حرمان الواجد ابتغاء ما عند الله.

٣٤- إن الإِنســان الــذي يملك شــهواته قوة خطيرة والشــعب الذي يملك شهواته قوة أخطر.

٣٥- مــن المؤســف أن الصُّــوَّام قلــة، وإن امتنــع عــن الطعــام كثيرون.

٣٦- إن ديننا قوامه العقل، والقرآن معجزة عقلية وأولو الألباب هم الناس حقا وهل الإِنسان إلا عقله.

٣٧- العقــل الصحيح هو الــذي يقرأ آيات الله فــي الكون كما يقرؤهــا في المصحف وبعــد العقل الســليم تجيء الطيبة والنية الحسنة.

٣٨- لماذا انفتح باب الاختراع في الدين وهو شر؟ ولم ينفتح باب الاختراع في الدنيا وهو خير؟!

٣٩- لمــاذا زادت الأرصــدة مــن النوافل؟ وقلــت الأرصدة في ميادين الجهاد وتنمية العمران؟!

٤٠- لــم يرد حديــث صحيح في تحريم الغنــاء على الإِطلاق، وإن أمتنا بحاجة إلى الكثير من الجد والقليل من اللهو.

٤١- الإِســلام ديــن وســط. والحقيقــة تضيــع بيــن الإِفــراط والتفريط.

٤٢- إن أئمــة الفقه كانوا قمما في التقــوى والمعرفة والنصح








للأمة. صنعهم الإسلام ولم يصنعوه.

٤٣- إن التعصب المذهبي جريمة غليظة.

٤٤- الإجماع لا يُنسخ إلا بإجماع آخر من أهل الذكر.

٤٥- الخلاف العلمي يترجح بقوة الدليل لا بكثرة الأتباع.

٤٦- إن القوانين الوضعية هي الوجه الرسمي للجاهلية الوثنية، تشويه مُتعمد لوجه الأمة الإسلامية، وهدفها الأخير الإتيان على الإسلام من القواعد.

٤٧- إن الذي شرع الحدود ندب المؤمنين إلى الستر على المنحرفين لمنحهم فرصة متاب.

٤٨- إن شَغْل العامة بفقه الفروع ثرثرة تبدد الطاقات.

٤٩- إن علم الفقه يأتي بعد علوم العقيدة والأخلاق.

٥٠- إن فقه الكتاب والسنة لا يُرشّح له إلا أهل النباهة والتقوى.

٥١- لا بد من المراجعة والغربلة للمذاهب الفقهية السائدة.

٥٢- إنه لا قداسة لاجتهاد، والخلود لكتاب الله وسنة رسوله.

٥٣- إن المتواتر يحكمني، والصحيح يلزمني، والعرف السائد يُحكَم عليه ولا يحتكم إليه.

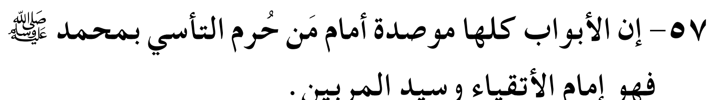
٥٤- إن الخطأ الفقهي مأجور، أما الخطأ الخلقي فهو إثم.

٥٥- إن تربية اللحية من سنن الفطرة، وتربية النفس من أركان الإيمان.

٥٦- إن الدين عقل وعاطفة، ومن سوء حظ الثقافة الإسلامية فقهاء لا قلوب لهم، ومتصوفة لا فقه لهم.









٥٧- إن الأبواب كلها موصدة أمام مَن حُرم التأسي بمحمد ﷺ فهو إمام الأتقياء وسيد المربين.

٥٨- إن تعليم زوار الأضرحة أجدى من تكفيرهم.

٥٩- الأمة هي مصدر السلطات.

٦٠- إن الوثنية السياسية هي التي تحمي الوثنية الدينية.

٦١- الخلافة الإسلامية بعيدة عن الفرعونية والكسروية والقيصرية، هي الأبوة الروحية للمسلمين، والشورى أول معالمها.

٦٢- إن العصر الحاضر ليس عصر الدويلات المنثورة، إنه عصر التكتلات الكبيرة.

٦٣- إن حقوق الإنسان هي الوجه المقابل لعقيدة التوحيد.

٦٤- إن سدنة الوثنية السياسية لا يقلون شرا عن سدنة الأصنام.

٦٥- إن الظلمة هم أجبن الناس لا يزأرون إلا في خلاء، ولا يمتدون إلا في فراغ، والويل للشعوب الجبانة.

٦٦- إن حرية الفكر هي المهاد الأول والأوحد لمعرفة الله.

٦٧- إن الارتداد عن الدين نقض للأسس التي يقوم عليها المجتمع والدستور.

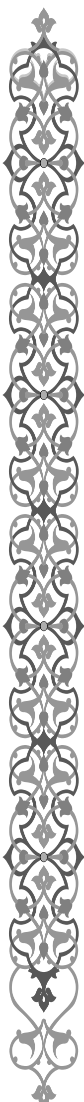
٦٨- إن الغزو الثقافي ظهير يمهد للغزو العسكري.

٦٩- حيث يكون التكليف الإلهي تكون الإرادة الحرة وتكون المسئولية.

٧٠- إنني غيور على الأعراض كأشد المتزمتين، لكن الحفاظ على العرض لا يتم بعقلية السجان.







٧١- إذا وصفنا تقاليد المرأة الغربية بأنها لا شرف لها ، فإن تقاليدنا لا عقل لها ؛ الأولى فاضحة والأخرى فادحة ، وبين الإفراط والتفريط خط وسط يجب التزامه .

٧٢- إن سياج الأسرة هو الخلق الزكي والأسر التي يمسكها القانون هي أسر على الورق وحسب ، وما بين الزوجين من وشائج لا يرخصه إلا لئيم .

٧٣- إن الجهاد الإسلامي ليس العنف والنزق والحماس الطفولي ، وإنما هو جهاد الكلمة والبحث والدرس وجهاد المال والقانون وجهاد النفس الحارس للأرض والعرض والإيمان .

٧٤- ليس في تاريخ البشرية حامل سيف أعف من محمد ﷺ ، ما غضب إلا لله .

٧٥- لا قتال إلا لمنع الفتنة في الدين وتأمين الدعوة إلى الله والحفاظ على الدم والمال والعرض وتحرير المستضعفين .

٧٦- إن الحرب شيء كريه حقا ، والويل للمجرمين الذين يشعلون نارها ويحتقرون آثارها .

٧٧- إن الوثنيات الدينية والسياسية والاقتصادية لم تجد فؤادا أشجع ولا ذراعا أشد من فؤاد محمد ﷺ وذراعه .

٧٨- إن المسلم هو أول المدافعين عن الوطن ولكي نحيا لا بد من إحياء التناصر بين المسلمين .

٧٩- ماذا وراء تجريد فلسطين من صبغتها الدينية إلا الضياع ؟ !

٨٠- الإسلام هو الذي رفع العرب وجعلهم أساتذة يعلمون







الفرس والروم، ويحاولون نقلهم من الظُّلمة إلى النور.

٨١- أنا مصري عرّبني الإسـلام وما يسرني أن أكون هاشميا، إذ الشرف عندي هو الإسلام وحسب.

٨٢- إن رباط العروبة بالإسـلام وثيـق، وإذا وهى رباط العرب بالإسلام تحولوا حتما من رأس إلى ذنب.

٨٣- إن الإسـلام وحـي معصوم، أما الفكر الإسـلامي والحكم الإسلامي فلا عصمة لهما.

٨٤- من النكسات التي أصابت المسلمين انفصال الحكم عن العلم.

٨٥- لقد قيل في إنسـان العصر الحاضر: إن عضلاته أكبر من عقله.

٨٦- إن الإنسـان يتحـول إلـى وحش كاسـر عندما ينسـى الله واليوم الآخر.

٨٧- إن العلم مهما تقدم لا يغني عن الإيمان.

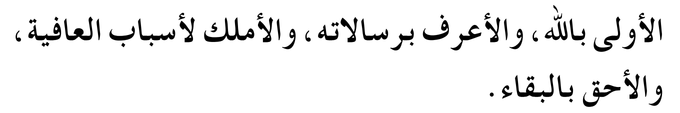
٨٨- إن الإيمـان الذي نحترمه هو الذي يعانق العقل وتزدان به الحياة.

٨٩- إنني أمقت الذكاء الخبيث، وإن امرأة حصانا غافلة أشرف من مومس عبقرية، وإن رجلًا سـاذجًا يعرف ربه أشرف من خبير في الذرة يعبد نفسه.

٩٠- إنه لا بد من دين لدنيا الناس.

٩١- إن أمتنـا -رغم جراحاتها- لا تزال أنبل من قاتليها، فهي







الأولى بالله، والأعرف برسالاته، والأملك لأسباب العافية، والأحق بالبقاء.

٩٢- يجب أن نقتبس من الغرب ما يتواءم مع فطرة الله في مواريثنا.. لقد نقلت اليابان صناعة الغرب، دون أن يتحول اليابانيون إلى أوروبيين في عقائدهم أو لغتهم أو آدابهم أو أخلاقهم، لقد فعلوا، ولم ينفعلوا، وقادوا ولم ينقادوا.

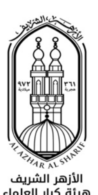
٩٣- إن عصابات من المبشرين والمستشرقين والمستعمرين تقاتل الآن الأمة الإسلامية، وتقترف المناكر للإتيان على رسالة محمد ﷺ، وتشويه سمعته، وإطلاق الأكاذيب حوله.

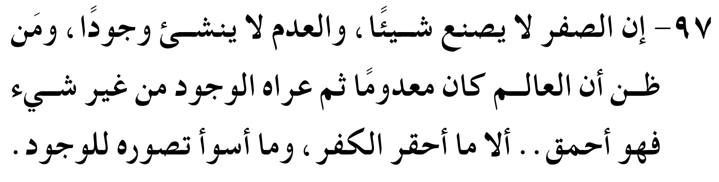
٩٤- لقد تفرستُ في وجوه العلمانيين، الذين يستبعدون الإسلام عن ميادين التربية والقانون والثقافة والتوجيه، فما رأيت صحة نفسية ولا دقة عقلية. فيهم مسلمون - كما يُقال - يكرهون ما أنزل الله، وفيهم كتابيون ينضمون إلى كل جبهة تخاصم الإسلام لكي يكثروا السواد ويشيعوا الأحقاد، ويتظاهرون - مع ذلك - بالحياد!.

٩٥- إن إنكار الملحد لربه أفحش من عقوق الولد لأبيه البر الرحيم.

٩٦- إن خيانة الوطن والقوم جريمة كبرى، فكيف بمن خان رب الأرض والسماء ورب البشر كلهم؟ ألا يُعد مجرمًا؟!.







٩٧- إن الصفر لا يصنع شيئًا، والعدم لا ينشئ وجودًا، ومَن ظن أن العالم كان معدومًا ثم عراه الوجود من غير شيء فهو أحمق.. ألا ما أحقر الكفر، وما أسوأ تصوره للوجود.

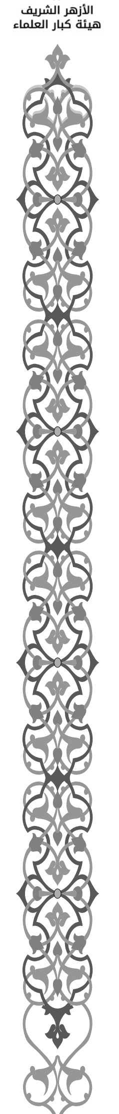
٩٨- إن النصارى أرق قلوبًا وألين عريكة، وإذا أسلم عشرة آلاف نصراني فلن يسلم إلا يهودي واحد.

٩٩- إننا لا نحب تقسيم العالم إلى دار حرب ودار سلام، لكن غيرنا هو الذي ألجأنا إليه، وإذا تركه تركناه.

١٠٠- إن حركات التجديد والإصلاح تخبو أو تمضي بمقدار موقفها من آفات تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

١٠١- إن التجديد يتطلب علماء بالكتاب لا مجرد قراء، وخبراء بالسنة لا مجرد رواة، وفقهاء في الشرع لا مجرد مقلدين.

١٠٢- إن الصحوة الإسلامية حقيقة قائمة، ولكن الإعداد لسحقها يشارك فيه مبشرون ومستشرقون وساسة وعسكريون وأدباء وإعلاميون، وملاحدة وكتابيون، ومصارحون ومداهنون، وأناس غرباء وأناس من جلدتنا، ولست أخاف أولئك كلهم إذا كان قادة الصحوة من معدن إسلامي صافٍ، يجددون سيرة سلفنا الأول، فيعملون بعقل مفتوح وقلوبهم ترنو إلى الله وحده.







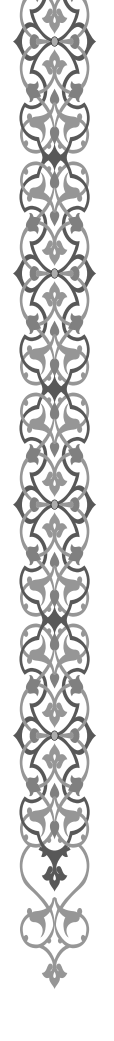
١٠٣- إذا كان الجهل بقوانين البشر لا ينجي من اللائمة، فإن الجهل بسنن القدر أسوأ عقبى.



هكـذا تحـدث العالـم الربانـي.. الفقيـه.. المجـدد.. الحكيم.. شيخنا محمد الغزالي.. عليه رحمة الله.

والآن إلى رائعته المتميزة.. كتاب «مئة سؤال عن الإسلام».

●●●







فهرس المحتويات

بطاقة حياة الشيخ محمد الغزالي ٣
بين يدي هذا الكتاب ١٣
١- الإسلام ١٤
٢- الذات العلية ١٩
٣- البعث والجزاء ٢٢
٤- القرآن الكريم ٢٤
٥- الرسول ﷺ ٣٢
٦- السُّنَّة النبوية ٣٣
٧- الصلاة ٣٦
٨- الزكاة ٤١
٩- الصوم ٤٥
١٠- الحج ٤٨
١١- مقاصد الشريعة ٤٨
١٢- العمران الإنساني ٥١
١٣- الوسطية الإسلامية ٥٣
١٤ـ الفقه الإسلامي ٥٥
١٥ـ التصوف ٦٤





١٦- نظام الحكم في الدولة الإِسلامية ٦٨

١٧- حقوق الإِنسان ٧٣

١٨- المرأة ٧٨

١٩- الجهاد ٨٦

٢٠- القتال ٨٧

٢١ـ الإِسلام والعروبة ٩٥

٢٢ـ التاريخ ٩٧

٢٣ـ السلف والخلف ٩٩

٢٤ـ المدنية الحديثة ١٠٠

٢٥- أهل الكتاب ١٠٤

٢٦- العلمانية ١٠٧

٢٧- الإِلحاد ١٠٨

٢٨- الإِسلاموفوبيا ١١٠

٢٩- التجديد ١١٣

٣٠- الصحوة الإِسلامية ١١٤



